مجلة شهرية

نـــور يسوع المسيح المسيح
ΦΩΣ الله ابن XPIΣTOY

Issue No: 93 عدد:
May 2015 أيـــار

جمعية نور المسيح ، رقم: ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No: 580327914 - PO Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

أيقونة "ضيافة إبراهيم"
للقديس أندريه روبليف

قَدْ نَظَرْنَا النُّورَ الحَقِيقِيَّ
وَأَخَذْنَا الرُّوحَ السَّمَاوِيَّ
وَوَجَدْنَا الإِيمَانَ الحَقَّ
فَلْنَسْجُدْ لِلثَّالُوثِ القُدُّوسِ
غَيْرِ المُنْقَسِمِ، لأَنَّهُ خَلَّصَنَا

دَيْرُ كَاتْشْكُو لِينِيَا لِلثَّالُوثِ القُدُّوسِ فِي جَبَلِ آثُوسَ فِي اليُونَانِ

كلمة صاحب الغبطة
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم
كيرلس كيرلس تيوفيلوس الثالث
بمناسبة أحد السامرية

«أيُّها الكلمةُ غيرُ الملحوظ بجوهرك المبدعُ الكلَّ، لقد ظهرتَ للبشر انسانًا من النقيَّة والدة الإله ، وأستدعيتَ الأنامَ الى مشاركة لاهوتك» .

أيها الأخوةُ الأحباءُ.

أيها المؤمنون ، والزوّارُ الحسنُو العبادَة .

بنعمة اللّه المثلث الأقانيم الذي أهّلنَا بهذه العطيّة الجليلة ، لأن نحظى في إقامة شعائر العبادة في هذا المكان المقدس، حيث يتواجد بئرُ البطريرك يعقوبَ أب الآباء ؛ في هذا المكان التاريخي المقدس، الشاهد الحقيقي للّقاء الخلاصي، ما بين راعي الخراف العظيم ربّنا يسوعَ المسيح ، والمرأة السامريّة، ليَنْطُقَ بتلك التعاليم الإلهيّةَ الخلاصيّة : «اللّهُ روحٌ. والذين يسجدونَ له فبالرّوح والحقّ ينبغي أن يسجدُوا» (يو٤: ٢٤).

هذا الروحُ ، روحُ الحقِّ ، هو الروحُ القدسُ، الذي انسكَبَ في أحشاء العذراء مريَمَ ، عندما بشّرها الملاكُ جبرائيلُ قائلاً: «الروحُ القدسُ يحلُّ عليك وقوّةُ العَلِيِّ تُظَلِّلُك، ولذلك فالقُدُّوسُ المولودُ منك يُدعى ابنَ اللّه» (لوقا ١: ٣٥).

«ابنُ اللّه» ، هذا الذي ذكره لنا الملاك جبرائيل، هو غير الملحوظ بالجوهر، ومبدعُ كلِّ الكائنات، إنه اللّهُ الكلمةُ، الذي يدعو الانسانَ للمشاركة الإلهيّة،والتمتّع بمجده الأبدي، الذي أوضحه جليّاً للمرأة السامريّة، عندما أعلن لها جهارًا أنّه هو الماءُ الحيُّ الذي يفجّرُ الحياةَ الأبديّةَ. «لو كنت تعلمين عطيّة اللّه ، ومن هو الذي يقول لك أعطيني لأشرب، لَطَلَبتِ أنت منه فأعطاك ماءً حيّـًا» (يو٤: ١٠).

وبطريقة أوضحَ بيانًا أيها الأحباءُ، نقولُ:

أنت أيتُها المرأة السامريّة، لو أدركت موهبةَ الروح القدس التي يُنْعِمُ بها اللّه للناس قاطبةً، ومدى قُوّتـها وعظَمتها، ولو عرفت من هو القائل لَك ـ **الآن تَوّاً** (حالـيًا) ـ أعطيني لأشـربَ ، لكنت تطلبين منه أن يُعطيك الماءَ الحيَّ المتدفقَ بغزارة ، الذي لا يجفّ أبدًا، أي أنْ تَقتَبلـي من عطـائه الفيّاض، نعمةَ الروح القدس. كأنه ماءٌ روحيٌ آخر ، مُفعَمٌ بالنقاوة والطهارة، الذي يُروّي ، ويُعزّي المعطي الحياةَ الأبديةَ للنفوس المؤمنة، هذا الماءُ الحيُّ الذي لا ينضبُ اطلاقًا.

إن نعَم اللّه المثلّث الأقانيم المليئة بالمواهب الروحيّة، المتدفّقة كأنهار ماء حيٍّ، هي سِماتُ الروح القدس وثمارُهُ، كما أوضحه لنا الحكيم بولُسُ: «وأما ثمرُ الروح فهو : محبةٌ ، فرحٌ، سلامٌ، طولُ أناة، لطفٌ، صلاحٌ، إيمان، وداعة ، وتعفّف» (غلاطية ٥: ٢٢).

هذه هي بالتدقيق، مواهبُ الروح القدس، المُعَبَّرُ عنها بالماء الحيِّ ، والتي قدّمها بسخاء ربُّنا يسوعُ المسيحُ للمرأة السامريّة، هذا الماءُ الحيُّ يُعْطَى مجانًا لكل المؤمنين بالمسيح **الإله والإنسان**. وهم كثيرونَ جدّاً ، كما يذكرُ ذلك الإنجيليُّ يوحنا. « من آمن بي كما قال الكتابُ، تجري من بطنه أنهارُ ماء حيٍّ ، قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنونَ به (أي بالمسيح) مزمعين أن يقبلوهُ» (يو٧: ٣٩) .

إن **القديسَ كيرللسَ رئيسَ أساقفة الإسكندريّة** يفسّرُ هذه الكلمات الإلهيّةَ، إذ يقولُ: «الماءُ الحيُ ، هو العطاءُ المُعطيَ الحياةَ ، من خلال هذا الماء الحيِّ تستطيعُ البشريّةُ أن تنتقلَ من حالة الجفاف والقحط في الفضائل الروحية ، إلى جنّة رَيّا تفوح بعطور الفضائل اليانعة ، حيث تَنتشرُ أريج الأفكار والأعمال الصالحة».

أما **القديسُ ثيوفلكتسُ** فيقولُ: « نعمةُ الروح هي التي تُفَعِّل النفسَ وتتفاعلُ معها باستمرار ، لتمتلىءَ بالصلاح الإلهي لكي تسموَ صاعدةً نحو العلاء».

أما **القديسُ أمونيوسُ** فيقولُ: « نعمةُ الروح القدس تُدعَى أحيانًا نارًا، وأحيانًا أخرى تدعى ماءً ، إن هذه الأسماءَ لا تشيرُ الى الجوهر ، لكنها تشيرُ الى الطاقة غير المخلوقة المنبثقة من الجوهر».

إنَّ المرأةَ السامريةَ أصبحت معادلةً للرسل بالكرازة، والشاهدَةَ الأمينةَ لمحبة المسيح ، وذلك من خلال مشاركَتها بالماء الحيِّ والنار المحييَة ، أي مفاعيل الطاقة الإلهيّة غَيْر المخلوقَة كما يذكُرُ ذلك مرنِّمُ الكنيسة: «إنَّ السامريةَ الشائعَةَ الذِّكْرِ أتت مُقبلةً بأمانة الى البئر، فشاهَدَتْكَ يا ماءَ الحكمة (أي المسيح)، التي لما سُقيَتْ منك باتّراعٍ ورَثَت الملكوتَ العلوي أبديّـًا».

أيها الأخوةُ الأحباءُ بالمسيح:

المرأةُ السامريةُ التي دُعيت بالمستنيرة (فوتيني)، أصبحت نوراً للمسيح بكرازتها وجهادها، هذا الجهاد المقدس تمّ بمعونة المسيح، ونوره الحقيقيِّ غير المخلوق الذي حَضَّ الكثيرين ليماثلوا السامريّة بالأقوال والأفعال. ومن بينهم كوكبةٌ من الشهداء الأبطال الذين صاروا بها مُقْتَدين ، ومنهم شهيدُ محبة المسيح المعاصر القديسُ فيلومينوس من أخويَّة القبر المقدَّس، الذي اقتدى بالقديسة فوتيني في الكرازة والرسالة والجهاد ، تماماً كما قال ربّنا وإلهنا يسوعُ المسيح: «النورُ معكم زماناً قليلاً بعدُ، فسيروا ما دام لكم النّورُ لئلا يُدرِكَكُمُ الظلامُ، والذي يسيرُ في الظلامِ لا يعلمُ إلى أيْنَ يذهبُ. ما دامَ لكمُ النّورُ آمنُوا بالنّورِ لتصيرُوا أبناءَ النّورِ» (يو١٢: ٣٥-٣٦).

نتضرّع أيُها الأخوةُ الأحباءُ للّه أب الأنوار ، بشفاعات والدة الإله الدائمة البتولية مريَم أمِّ النّورِ ، وشفاعات القديسة فوتيني والشهيد فيلومينوس، أن نصيرَ أبناءَ النور والحقيقة للمسيح مخلِّصِنَا القائم من بين الأموات بسلطانِ لاهوته. آمين

المسيح قام ، حقا قام

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

صلاة القديسين من أجلنا ـ القديس يوحنا فم الذهب

يَحْسُنُ بنا الاعتمادُ على صلاة قديسي الله، حتى ولو كنا نشيطين بتتميم الواجب. ربّما تقولُ: ما الحاجةُ إلى صلاة الآخرين، إذا كنتُ أتممُ واجباتي بنشاط ؟ فأنا لستُ بحاجة إليها! لم يقل القديسُ بولسُ الرسولُ: لا حاجَةَ إلى صلاة الآخرينَ ، مع أنّ الذينَ صلَّوا لأجله لا يُضاهونه بشيء. فكيف تقولُ أنتَ ما حاجتي إلى صلاة الآخرين عنّي ؟ والقديسُ بطرسُ الرسولُ لم يقلْ ما الحاجةُ إلى هذه الصلاة، بل قيلَ: «وكانت الكنيسةُ تصلّي إلى الله من أجله بلا انقطاع» (أعمال١٢: ٥)، وأنتَ تقولُ ما الحاجةُ إلى صلاةَ الآخرينَ؟ إنها ضروريّةٌ، خاصّةً أنكَ لا تعترفُ بالحاجة إليها. إنَّكَ في حاجة إلى صلاة الآخرين، ولو كنتَ معادلاً للرسل المقدَّمين على غيرهم.

إنَني أكررُ أنّ صلاةَ الغير من أجلنا نافعةٌ لنا ، إذا كنا نَتعبُ بتأدية واجباتنا. أمَا شَهدَ رسولُ المسيح بقوله: «لأني أعلم أن هذا يؤولُ إلى خلاصي بصلاتكم ، وبإعانة روح يسوع المسيح» (فيليبي ١: ١٩) ، «والذي يُنقذُنا الآن بمعونة دعائكُم لنا حتى أن كثيرين يُؤَدُّون الشكرَ على الموهبَة» (٢كور١: ١٠-١١)، ولكن لا أحدَ يستطيعُ أن يساعدَنا بصلَواته إذا كنا متهاملين. فما الفائدةُ التي حصل عليها النبيُّ ارميا لليهود؟ ألم يصرُخْ إلى الله ثلاثًا ويَسمعْ ثلاثًا: «وأنت فلا تُصَلِّ عن هذا الشعب، ولا ترفَعْ صراخًا ولا صلاةً لأجلهم ، ولا تشفَعْ إليّ فإني لا أسمعُ لَكَ» (ارميا٧: ١٦)، وما المنفعةُ التي قدّمَها النبيُّ صموئيلُ للإسرائيلين؟ ألَمْ يهلكُوا جميعًا غيرَ ناظرين إلى نبي الله، الذي شَهدَ عن نفسه: «وأما أنا فحاشا لي أن أُخطِئَ إلى الرب وأترك الصلاةَ من أجلكُمْ» (١صموئيل ١٢: ٢٣)، لذلك يجبُ أن نعلَمَ أنَّ صلاةَ الآخرينَ مَن أجلنا تعودُ علينا بالنفع العظيم إذا قمنا بواجبات الصلاة نحنُ أيضًا. إنَّ الصلاةَ تعملُ وتساعدُ من يتمّمُ واجباته، أما إذا كانَ متكاسلاً فلا تعودُ عليه بفائدة. ألم يُصلِّ القديسُ بولسُ الرسولُ من أجل العالم بأسره ؟ ألَمْ نُصلِّ نحن من أجل خلاص الجميع ؟ فلماذا لا يصيرُ الأشرارُ أبراراً ؟ لأنهم لا يهتمّونَ لنفوسهم! فالصلاةُ من أجلنا تفيدُنا إذا أتممْنا واجباتنا المفروضةَ علينا.

أتريدُ أنْ تعرفَ أيها المسيحيُّ كيف تكونُ الصلاةُ نافعةً لنا؟ إسمعْ ما يقولُ يعقوبُ **للابان**: «ولولا أن إلَه أبي إبراهيمَ ومهابةَ إسحقَ معي لكنتُ سرّحتَني فارغًا» (تك ٣١: ٤٢)، واسمعْ أيضًا ما قالَ الربُ الإلهُ: «فأحمي هذه المدينةَ وأخلّصُها من أجلي ومن أجل داودَ عَبدي» (الملوك الرابع١٩: ٣٤)، لكن متى كان هذا ؟ كانَ بواسطة حزقيا الذي كان صدّيقًا. ولكن إذا كانت للصلاة قوةٌ أثناءَ الشدائدَ العظيمَة ، لماذا أسلمَ الربُّ المدينةَ (أورشليم) إلى نبوخذنصرَ عند هجوم البابليين؟ **لأن الفسادَ ازدادَ في تلك الأيام**، هكذا استجابَ اللّه لصلاة صموئيلَ من أجل الإسرائيلين، عند إرضائهم للعليِّ. وربما تقولُ ما الحاجةُ إلى صلاة الآخرينَ من اجلكَ إذا كنتَ عائشًا في طاعة الله ؟ هذا لا يجوزُ لك قولُهُ مطلقًا بَل اسمعْ ما قالَه السيّدُ الربُّ عنَ أصحاب أيّوبَ: «إنَّ عبدي أيوبَ يصلّي من أجلكُم فنتركَ لكم خطاياكُم» (أي٤٢: ٨)، لأنهم قد خَطئُوا ولكنَّ خطيئَتَهُمْ لم تكن عظيمةً، وهذا الصديقُ نفسُه الذي خلّصَ أصدقاءَهُ لم يَقدرْ أنْ يُنْقذَ اليهودَ منَ الهلاك لأنَّ «إثمَهُمْ كان عظيمًا» (حز١٤: ١٤).

وقد قالَ السيدُ الربُّ بواسطة أنبيائه: «ولو كان فيها هؤلاء الرجالُ الثلاثةُ نوحٌ ودانيالُ وأيوبُ، أنهم لا ينقذون لها بنين ولا بنات والأرضُ تصيرُ مستوحشَةً» (حزقيال١٤: ١٥)، «ولو أن موسى وصموئيلَ وقفا أمامي، لما توجّهَتْ نفسي إلى هذا الشعب» (ارميا ١٥: ١)، وعندما صرخ النبيُّ حزقيالُ قائلاً: « آه، يا سيِّدُ الرَّبُّ ! هل أنتَ مُهلكٌ بقيَّةَ اسرائيلَ» (حزقيال ٩: ٨)، عرّفه الربُّ أنَّ عدَم مساعدته للإسرائيليين لم تكُنْ له، لأنَّهُ توسَّطَ لهم بَلْ «لأنَّ إثمَ اسرائيلَ ويهوذا عظيمٌ جداً» (حزقيال٩: ٨-٩).

فبتذكّرنا أيُّها الأحباءُ كلَّ هذا، يجبُ ألا نحتقرَ صلاةَ القديسين، أو نعتمدَ عليها وحدَها، بل لنحافظْ على الشرط الثاني أي **ألا نتكاسَلَ، ونصرفَ حياتَنا في البطالة**، حتى لا نُحرَمَ منَ الخيرات العظيمة. لنَسألْ سكانَ السماء القديسين أن يساعدُونا بصلواتهم، لنقضيَ حياتَنا في الصلاح حتى نحصلَ على الملكوت الأبديِّ لربِّنا، وإلهنا ومخلصنا يسوعَ المسيح، الذي له مع أبيه وروحه القدوس، كلُّ تمجيدٍ وإكرامٍ وسجودٍ ، إلى الأبد آمين.

الروحانية الأرثوذكسية:
امتياز متبادل بين الحياة الحاضرة والآتية

الأب د. جورج ميتيليتوس
عميد كليّة اللاهوت
في جامعة أثينا

إنَّ عبارةَ «**الحياةُ الروحيةُ**» ، ضمنَ إطار الكنيسة الأرثوذكسية ، تشيرُ إلى حقيقة محدّدة ، وطريقة حياة ملموسة ومفهومة وواضحة. ليست هي مدينة فاضلةً غامضةً ولا مثاليةً بدون أساس أو محصورةً في حدود التأمّل والخيال. تتضمّن هذه الروحانيةُ الأرثوذكسيةُ ماديةً وواقعيةً ، ضمنَ واقعٍ محدّد لطريقة حياة، طريقة أبدية للوجود دخلت التاريخَ، وصارت حقيقةً دنيويةً أرضيةً من خلال تجسد الإله ـ الكلمةُ ربُّنا يسوعُ المسيحُ. لا يمكنُ تصوّرُ الحياة الروحية المسيحية إلا إذا كانت بالواقع مرتكزةً على التجسّدِ الإلهي. لم يكن هدف تجسّدِ ابن الله مجرّدَ تحسين الواقع البشري، بل إصلاحُهُ وتحويلُهُ. لقد هدف إلى «عالم جديد» كحقيقة إلهية ـ بشرية. بحسب آباء الكنيسة الأرثوذكسية، لقد أصبح الإله إلهًا ـ إنسانًا (theanthropos) لكي يجعلَ حياتَنا إلهيةً ـ بشريةً.

التقليدُ الأرثوذكسيُّ هو الجهادُ لمتابعة الحياة الجديدة بالمسيح وفي المسيح، تلك الحياة التي دخلت إلى العالم، من قبل البشر الذين سوف يحقّقون العلاقات الاجتماعيةَ والأخويةَ. هذا يتحققُ في كل جيل على مثال الآباء الإلهيين القديسين. يُعبَّرُ عن الأرثوذكسيةَ بشكل أصيل بآبائها القديسين، ووحدهم يمكنُ اعتبارُهُم الشهاداتِ الصالحةَ عن حياتها. إن خبرتَي التقليد الأرثوذكسي والآباءَ متشابهتان وتشكّلان، ليس نقلاً آليًا لتعليم مصنّف، بل الاستمراريةَ الشخصيةَ في عالم الحقِّ المتجسّد، في الإطار الزمني لكل حقيقة محدّدة (حضارة، ثقافة، وضعية سياسية واجتماعية). هذا يحملُنا إلى الاستنتاج بأن بالنسبة لنا جميعًا كأرثوذكسيين، عبارات الحق والعدالة والسلام والمساواة والأخوّة، ليست مفاهيمَ إيديولوجيةً، ولا قضايا أخلاقية. إنها طريقة محقَّقَة للوجود،إزاءَ يسوعَ المسيح والآباء القديسين ، والأنبياء وآباء وأمهات كلِّ العصور. إنَّ جهادنا لتحقيق هذه المفاهيم في حياتنا، لا يستندُ إلى نيّتنا الصالحة وتصميمنا على الجهاد، بل بشكل أساسي على أعمال القدرة الإلهية. إذاً، الروحانيةُ الأرثوذكسيةُ ليست مجرد باطنية (تطور ثقافي أو ما شابه) بشرية المركز ، ولا هي روحانية مثالية ، ولا هي حتى تديُّنًا، إنها المشاركةُ الشخصيةُ في الحياة الإلهية التي تصبحُ حقيقةً أرضيةً، لكن لا يمكن تحقيقُها من خلال القدرة البشرية وحدَها بدون تدخُّل الله.

الروحانيةُ هي حياةٌ وجهادٌ في الروح القدس وهي تتماهى مع كامل حياة الكنيسة التي كجسد، ضمنَ تقليدها يتجنّدُ الانسانُ ليَنْشُدَ الخلاصَ. يأخذُ جهادُ الإنسان في الانتماء الكامل لهذه الجماعة تعبيرًا نضاليًا ثوريًا مَحْضًا. إنّ ثورةَ المسيحي هي النُّسكُ كممارسة روحية؛ ثورةٌ **ضدُ الطبيعة الاستقلالية الميتة** ، حتى «تتلقّح» بحياة المسيح مع **قيامَته**، إنها عصيانٌ ضدَ أنفسنا نحن الذين **نحيا ضمن حدود الموت والفساد**.

لماذا؟ الخلاصُ من الفساد والموت، هو نعمة الله، عطيةٌ من الله غير المخلوق لخليقته. إنه ليس إنجازَنا وليس مأثرةً لطبيعتنا. إنه ممنوحٌ عندما يبلغُ الإنسانُ إلى حالة من الوجود، فيها تتحرّرُ الطبيعةُ من عبودية الضرورات التي تكوّنُ الاستعبادَ للموت والفساد. لا يكتملُ هذا السياقُ القيامي بدون عُنْف. كلماتُ المسيح ثوريةٌ بالحقيقة: «جئتُ لألقيَ نارًا على الأرض» (لوقا ١٢:٤٩)، «لا تظنّوا أني جئت لألقيَ سلامًا على الأرض. ما جئتُ لألقي سلامًا بل سيفًا» (متى١٠ :٣٤) ، «ملكوتُ السماوات يُغصَبُ اغتصابًا والغاصبون يخطفونه» (متى١١:١٢). كيف تُفهَمُ هذه الكلمات؟ إنَّ اغتصابَ طبيعتنا ضروريٌّ بالمطلَق لقهر استعبادنا الداخليِّ الذي يؤدّي إلى كل أشكال العبودية الخارجية. إن تجربتنا هي في الجهاد لأنْ ننكرَ «إنساننا العتيق» (روميه ٦:٦). يجب أن تعتادَ إرادةُ الإنسان على مقاومة **مؤسّسة الخطيئة** التي يشكّلُها الموقفُ الأنانيُّ نحو الناس والعالم. كونُنا داخل خطيئتنا، في **حياة الموت** التي نسلكها، نحن نواجهُ كلَ الأمور كأشياءَ محايدة خاضعة لحاجاتنا ورغباتنا. فلنتأمّلْ في استغلال العالم والناس، التلوّثُ البيئيُّ، إنتاجُ الأسلحة الذرّية المستعملة في سباق القوى العُظمى نحو التفوق بالقوّة. الإنسانُ المُخلصُ للمسيح يصارعُ طبيعتَهُ الأنانيةَ من خلال الحرمان الطوعي ، والتعهد التلقائيِّ لضبط الجسد لكي يصلَ إلى التحرُّر الخارجي. إنه يستقبل من نزعة الخضوع لكل شيء، ويتعلمُ محبةَ العالم وتحقيق وحدته معه، وكَشْف ختم قوّة الله الخلاّقة في كل مخلوق بذاته، واستعمالَ العالم بطريقة ترضي الله، كليتورجيا مستمرةٌ وإشارةٌ إلى الله. من خلال التجارب والصعوبات، وهي تمرينٌ روحي، يصل الإنسانُ إلى الشركة الأصيلة حيث تصبحُ الحياةُ تجاوزًا ذاتيًا للمحبة.

انّ الميزةَ الثوريّة المحرِّرةَ نفسَها موجودةٌ، بداعي الضرورة، في الألم الذي يشكّلُ انتهاكًا لمعنى الحياة «كبقاء شخصي» و «تقدمةً ذاتية منَ المحبة لإخوتنا البشر». إن طريقةَ الوجود الفرديةَ تتحوّلُ إلى شركة شخصيـة مَن المحبة، من خـلال النُّسك. لهذا السبب، رُبطَتْ الأرثوذكسيّة بالنُّسك الطَّوعيّ معتبرةً التجارُبَ «عذابَ الضمير». إن انتهاكَ الطبيعة موجودٌ في كليهما، لكي يُفعِّلَ شركة المحبة. إن الروحانية الأرثوذكسية هي بالتحديد، هذا الصراع من أجل هذا اللقاء المحرِّر بين غير المخلوق والمخلوق. في أي حال، لا يستطيعُ أي إنسانَ أن «يعرف» غيرَ المخلوق، بالمنطق بل بالأحرى، من خلال وجود غيرِ المخلوق في المخلوق وسكناهُ فيه. إنَّ غايةَ التقليد الأرثوذكسي هي: دفعُ الإنسان للاتحاد مع الله أي **التألّه**. تتطلّبَ هذه الغاية مسبقًا وجود أداة هي القلب. نحن نقبَلُ عادةً أن جريان الدم في جسمنا هو الهدف الوحيد للقلب، وبالتالي نعتَبرُ الدماغ والجهاز العصبي مركز إدراكنا لذواتنا. مع ذلك، في التقليد المسيحي الصحيح، القلب هو مكان الشركة مع الله. يسمي الآباءُ قوة النفس التي تنشطُ في القلب «فكرًا». الفكر، في هذه الحالة، لا يساوي المنطق. وفوق هذا، يُسمّى الفكرُ أيضًا صلاةَ القلب (الصلاة العقلية) التي تكمن في تنشيط الفكر في القلب. تصبح هذه الوظيفة الصلاتية بلا انقطاع (١تس٥:١٧) عندما يتطهّرُ القلبُ ويحصل على نعمة الروح القدس.

إنَّ سكونَ القدرة النوسيّة (لا المنطق) هو جوهرُ سقوط الإنسان. إن عدم العمل أو العمل الجزئي لهذه القدرة الفكرية، وتشوشها مع وظيفة العقل أو الجسد، يستعبدُ الإنسانَ في الإجهاد والجو والمادية، مركِّزاً اهتمامَه على جسده. بهذه الطريقة، يعبد الإنسان الخليقة دون الخالق، والنتيجةُ المباشرةُ هي تفكيكُ أصالة علاقاته الفردانية، المواقفُ العدائيةُ في المجتمع، تأليه الذات وعبادتُها، واستغلال الله والناس لتأمين السلامة الذاتية والسعادة. بعد شفاء مرض القلب يعودُ الإنسانُ إلى اجتماعيته الصحيحة. يكتسبُ القلبُ النقيُ استنارةَ الروح القدس. في هذه المرحلة، تصبحُ محبةُ الانسان لذاته محبةً منكرَةً للذات من الله. بدون الاستنارة من الله لا تستطيعُ محبتُنا أن تتخطّى موقفَنا الأنانيَّ ونقصَنا. تبقى محبتُنا ناقصةً وزائفةً. بالاستنارة يصبحُ الإنسانُ هيكلاً للروح القدس معافىً روحيّاً. في المصطلحات اللاهوتية الأرثوذكسية تُسمّى عملية إعادة تفعيل الوظيفة النوسيّة في القلب «شفاءُ الوجود البشري» وهي عملُ الكنيسة الأساسيُّ. إن هذا هو غايةُ حضور الكنيسة في التاريخ، كما أعطاهُ المسيحُ: استرجاعُ الشركة بين اللهَ والإنسانَ في القلب. في الأرثوذكسية، لا يؤجَّل الشفاءُ، أيَ استعادةُ علاقات الله بالإنسان إلى ما كانت عليه، إلى الحياة الآتية أي بعد الموت.

إن الشفاءَ يُنجَزُ في التاريخ. المؤمنُ من خلال وجود عمل الله في داخله، يصبحُ «هيكلاً لله» ويمتلكُ الأبديةَ ضمن الحقيقة الأرضية فيعيش في ما بعد التاريخ كما في التاريخ. إنه يصير إنسانًا سماويًا كالقديسين. القديس بحسب الأرثوذكسية، هو الإنسانُ الحقيقي القادرُ على خلق شركة من الأخُوّة والعدالة. إنَّ غاية التقليد الأرثوذكسي النهائية ليستَ الإجلال الأنانيَّ للشخص البشري، بل إعادة الشركة الأصيلة إلى ما كانت عليه مع البشر الآخرين. بحسب **القديس اسحقَ السرياني**، يبلغُ كلُ القديسيَن الكمالَ، عندما يصبحون كاملين ومتمثلين بالله، بمحبتهم وخيريتهم المتدفقَتين نحو الجميع. لا يوجدُ أرثوذكسيةٌ فرديةٌ ولا خلاصٌ فرديٌ. في آخر المطاف، الخلاصُ هو الدخولُ الكاملُ في مجتمع الإخوّة. وهذا ينطبقُ على كل الناس بدون استثناء. إن الفرق بين الأرثوذكسية والأنظمة العلمانية، هو أن هذه الأنظمة، تحاول أن تخلق مجتمعًا. فيما نحن نكافحُ لإدخال أنفسنا في مجتمع الثالوث المُلهَم، في جسد المسيح. هذا المجتمعُ بطبيعته هو الأخوّة المتلألئةُ التي لا طبقات اجتماعية فيها (غلاطية٣:٢٨).في الأرثوذكسية، هذه الحياة هي حقيقة إلى يومنا هذا في الأديار، بالرغم من كل النواقص البشرية. هناك تكون الحياة بكاملها، في نعمة الله حيث المساندةُ المتبادلةُ، انعدامُ القنية بوجود الملكية الجماعية، ومشاركةُ المحبة فيما كل واحد يعمل بحسب موهبته وقدرته ويتنعّم بحسب حاجاته. وهكذا، ينتفي كل شكٍّ بالاستغلال أو المبالغة بالتقدير، لأن الربح ليس الهدف. فالهدف هو الخدمةُ والمساندةُ المتبادلتين. **الدير هو أنقى مثال للشركة في الأرثوذكسية وقد أثّر بشكل كبير في تشكّل المجتمع الأرثوذكسي تاريخيًا** ، أي المجتمعات القروية والمدنية . إن حياتنا المتغرّبة والمتعلمنة، تعكس بالضبط تراجعنا عن ذلك المثال، وتَبَنِّينَا لطرق تنظيم المجتمع الغربية عن الأرثوذكسية وثقافتها. فهذه الثقافةَ مختلفةٌ كليًا عن تلك **الغربية**. هذا سببه أن مثالها، في بعده الاجتماعي، ليس السعادة والمصلحة الفرديَّتين بل التكافُل في «**توزيع البؤس بالتساوي**».قد يفكّر البعض، وهذا ما أشهده كثيراً في **أوروبا الغربية**، بأن هذا المثال الاجتماعي، مرتبط بالماركسية. لا إطلاقًا ! فالماركسية، على غرار غيرها من الأنظمة الاجتماعية، تركّز على البُنى الداخلية والعلاقات.

تبدأ الأرثوذكسية من الأعماق الروحية للإنسان، لتستعيدَ صورة الله داخله، هادفةً تفعيل المجتمع البشري، ليعكس طريقة وجود الثالوث. وهكذا، لا يكون الفرد ضحيةً للمسيح من أجل الخير العام، بينما الخير العام يكون لمصلحة الشخص الخاصة. إنَّ اهتمامَ الإنسان الأرثوذكسي ليس محصوراً في الزمن بل هو موجَّهٌ بشكل دائم نحو الأبدية. هذا يعبّرُ عنه الرسول بولس: «إن كان لنا في هذه الحياة فقط رجاءٌ في المسيح، فإننا أشقى جميع الناس» (١كو ١٥: ١٩).لا ترغب الأرثوذكسية في أن تكون جماعة دينية للخدمات الخيرية، ولا هي منظمة بشرية ،تكافح فقط من أجل السلام على الأرض، والتعايش بين الأمم. تبتغي الأرثوذكسية أن تكونَ، قبل كل شيء، **جَسَدَ المسيح**، أي مختبرَ خلاص لشفاء الكيان البشريّ، وهذا شرطٌ مسبَقٌ لتنمية الإنسان على حدود الشركة الأصيلة مع الله والعالم. إلى هذا، لا يوجدُ في الأرثوذكسية عمليةٌ تطوريةٌ بمعنى التغير المستمر. إن محور سلوكنا هو المسيحُ بلا تغيّر. **فالمسيحُ** يبقى المركزَ المُطلَقَ، ونقطةَ المرجعية للشعب الأرثوذكسي في كل الأزمنة. المسيح يُؤَمِّن وحدتنا عبر الزمن بوجوده في داخلنا. إنَّ عملـه غيرَ المخلـوق يوحِّدُ، في البعد الأفقي كما في العمودي، كل الشعب المؤمن عَبْرَ التاريخ ويتمّمُ وَحْدَتَهُمْ، ليس كخضوع تحت معاييرَ محددة للعيش والتصرّف، بل كحياة ناتجة عن وجوده في داخل نفوسهم .

أحد المخلّع
وقيامة طابيثا من الموت
بصلوات القديس بطرس الرسول
للقديس يوحنا الذهبيّ الفم

بطرس في لُدّة ويافا

● «وحدث أنَّ بطرس وهو مجتازٌ بالجمع نزل أيضًا الى القدّيسين الساكنين في لُدّة» (أع٩:٣٢).

المقدّمة:

أرأيتم كيف أنَّ السلام يأتي بعد الحرب؟أو بالأحرى ماذا فعلت الحربُ،كيف جعلت التلاميذُ يتفرّقون ويبشّرون بالكلمة؟(أع٨ : ١).

في السامرة وقع سمعانُ السَّاحرِ في الخزيِ وافتُضِحَ أمرُهُ (راجع أع ٨:١٨–٢٤).

وفي اليهوديّة جرى كلُّ ما يتعلّق بسفّيرة (راجع أع٥:١–١١).

كان السَّلام منتشرًا في اليهوديّة، والجليل والسامرة (أع ٩ : ٣١) ومع ذلك لم تكُن أمورُ الكنيسة كلُّها هادئةً. لكن ذلك السلام النسبيَّ كان لا بدّ منه من أجل تعزية المؤمنين.

أعمالُ بطرسَ:

كان بطرس شبيهًا بقائد عسكري، يتفقّد قطَعَ جيشه: القسمَ الذي كان مجمّعًا، والقسمَ الذي كان سائرًا فَي الطريق، وأيضًا القسمَ الذي كان بحاجة إلى حضوره. لاحظ كيف كان يذهب الرسول إلى كلّ مكان «كان يجتاز بالجميع». يوجدُ أولاً في كلّ مكان. عندما كان ينبغي أن ينتخبوا رسولاً (راجع أع ١:١٥ ...) ظهر هو أوّلاً. عندما كان لا بدّ أن يكلّموا اليهود، ويشهدوا أنهم ليسوا سُكارى (أع٢ : ١٣ –١٥)، عندما كان لا بدّ لهم أن يكلّموا الشعبَ ويَعظوه (أع ٣ : ١٢ –٢٦) كان يتقدَّمُ الآخرين. عندما كان يجبُ عليهم أن يكلّموا رؤساءَ المجلس اليهودي (أع ٤: ٨ – ٢٠ و ٥ :٢٩–٣٢)، عندما كَلَّمَ حننيا وامرأته سفّيرة (أع٥:١–١١) وعندما كان ظلُّ الرُسل يشفي الجموع (أع ٥:١٤–١٥) كان بطرس دائماً في المقدِّمة.

فهو حاضرٌ دائمًا في حالات الخطر وفي ترتيب الامور الصعبة. أمّا حيث يُخَيِّمُ السلامُ فهناك يحضر الجميع، ولم يبحث عن الأوّلية. لكن إذا اقتضَت الحاجة إلى فعل العجيبة، فكان يحضر قبل غيره. لذلك نراه الآن يجتاز بالجميع، يصنع العجائب ويَشفي.

شفاء المخلّع:

● « فوَجَدَ إنساناً اسمه إينياس، مضطجعًا على سرير منذ ثماني سنين، وكان مفلوجًا. فقال له بطرس يا إينياس يَشفيك يسوع المسيح، قُمْ وافرش لنفسك فقام للوقت. ورآه جميعُ الساكنين في لُدّة وسارون الذين رجعوا إلى الربّ» (أع ٩: ٣٣ –٣٥).

﴿ لم يكن للمخلّع قبل مجيء بطرس الرسول أيُّ رجاء في الشفاء بعد ثماني سنين. لكن الربَّ في كثير من الأحيان كان يفتقد هؤلاء المرضى اليائسين، ويشفيهم. لذلكَ علينَا ألاَّ نيأس من الخاطىء، مهما بلغت خطيئتُه وألاَّ نُدينَهُ، وكثيرًا ما نشهد لقوّة النعمة الإلهيّة في توبته العجيبة﴾.

﴿هنا يظهر بطرس واسطةً للشفاء، بينما كانت القوّة صادرة عن المسيح. لذلك نرى الرسول يَنْسبُ المجدَ للمسيح وحدَه، بفعل عمل المشاركة بين اللّه والإنسان يَقتضي أن يبادر الإنسان، أن يبادر بالرغم من ضعفه وفقره﴾

﴿ هنا أيضًا إشارةٌ إلى ألوهيّة يسوعَ المسيح المسيّا المنتَظر طالما يُنْسَبُ إليه لقبُ الربّ، وهو لَقبُ اللّه في العهد القديم﴾.

لماذا لم ينتظر المريض أن يعلن إيمانه، ولم يسأله إن كان يريد أن يَشفى ؟

لقد حصلَت هذه العجيبة قبل كلّ شيء من أجل تعزية الكثيرين.

والبرهان على ذلك ما أضافَ قائلا:

«ورآه جميعُ الساكنين في لُدّة وسارون الذين رجعوا إلى الرب» (أع ٩:٣٥).

على كلّ حال الكلام هذا يدلُّ على رجل كان عنده اليقين بأنَّ ما يقوله سوف يتحقّق. وأنا أعتقد من جهتي كثيرًا (هنا يتكلّم القدّيس يوحنا الذهبيّ الفم)أن المريض كان مؤمنًا بكلام الرسول بطرس، ولذلك شُفي.

يبدو أنَّ الرجل كان مشهورًا ولذلك طلب منه كدليل على العجيبة أن يحمل سريرُه. لأن الرسل لم يكتفوا بتحرير المريض من سَقَمه بل كانوا أيضًا، يمنحونه القوّةَ الجسديّة.

مَن جهة ثانية، لم يكن بعدُ براهين كافية عن القوّة العجائبيّة عند الرسل، لذلك أيضًا لم يُسأل المفلوج عن إيمانه كما لم يُسْأل الأعرجُ عن إيمانه، كما حصَل مع المسيح في بداية صُنع العجائب. لم يكن يتطلَّب الإيمانُ، هكذا حصل مع الرسل أيضًا في بداية البشارة.

أمّا في أورشليم فكان يُطْلَبُ الإيمانُ مُسبَقًا، لذلك كان المؤمنون يجلسون في الشوارع، حتى إذا مَرَّ ولو ظلُّ بطرسَ يُشفَون (أع ٥: ١٥). كانت هناك تحصل عجائب عديدةٌ. أمّا في لُدّة فكانت أوّل عجيبةٍ.

تحصلُ العجائب أحيانًا لجذْبِ الآخرين إلى الإيمانِ، وأحيانًا لتعزية المؤمنين.

* * *

طابيثا قومي!

● «كان في يافا تلميذة اسمها طابيثا الذي ترجَمَتُهُ غزالة. هذه كانت ممتلئةً أعمالاً صالحة، وإحسانات كانت تعملها. وحدث في تلك الأيام أنَّها مرضت وماتت. فغسلوها ووضعوها في عُلِّيَّة. وإذ كانت لُدّة قريبة من يافا، وسمع التلاميذ أن بطرس فيها أرسلوا رَجُلَيْن يطلبان إليه ألاَّ يتوانى عن أن يجتاز إليهم» (أع ٩: ٣٦–٣٨).

﴿إشارةً إلى إيمانها وتجسيده بالأعمال الصالحة﴾

﴿يَعِدُ الربّ للذين يحسنون إلى الفقراء «بإعانتهم على سرير أَلَمهمْ» (مز ٤١: ٣) دون أن يَعِدَهُمْ بعدَ الموت (الجسدي) بل حين موتهم يجدون رحمة «ليُعطِه الرَبّ أن يجد رحمةً من الربّ في ذلك اليوم» (٢تيمو ١: ١٨)﴾

﴿يطلبون الإسراع، لأنهم لا يستطيعون أن يُبقُوا الميت طويلاً بدون دفن﴾

لم يَكتَفِ بمجرّد ذكر اسم المرأة، بل أشار إلى معنى الاسْم ليدلّ على سَهَرِها، ويقَظَتِها وسرعتها كالغزالة.

لماذا انتظروا إلى حين موتها ؟ حتى لا يُزعجوا بطرس قبل موتها، ويقطعوا هكذا التلاميذ عن بشارتهم، ولذلك ذُكِرَ أنَّ الفرصةَ سانحةٌ بوجود بطرس في لُدّة قريبة من يافا.

لاحظَ أنهم يُرْسلونَ آخرين وبطرس الرسول يستجيبُ للدعوة ويأتي دون أن يُزْعَجَهُ المرسال والدعوة. حتى الحزن هو خيرٌ عظيم لأنه يضطرُّ النَفسَ أن تتجمّع على بعضها. لم يُسمَع بكاء وعويل، بل فعلوا كلّ ما يُستَوجَبُ للميت.

●«فقام بطرس وجاء معهما. فلما وصل صَعدوا به إلى العلّية، فوقفت لديه جميع الأرامل، يبكين ويرينَ أقمصةً وثيابًا، مما كانت تعمل غزالة وهي معهنّ» (أع٩:٣٩).

لم يتوسّلوا إليه بل تركوه يمنح من تلقاء نفسه الحياةَ والشفاء. هنا نلمس ما جاء في الكتاب المقدّس:

«الإحسان يُنقذ الإنسانَ من الموت» (طوبيا ١٢: ٩).

صَعدوا به إلى العُلِّيةَ حتى يكون المشهد مناسبَةً للتعليم. وبالفعلِ جاء الكلام عن طابيثا مديحًا عظيمًا. المشهد يبرهن بالفعل على أنَّها كانت «ممتلئة أعمالاً صالحةً وإحسانات»، كما كان يدلّ أيضًا على تواضعها، إذ كانت تعمل كلّ ذلك «وهي معهنّ».

﴿هنا إشارة إلى الأرامل والفقراء التي كانت تعتني بهنّ الكنيسة عن طريق نساء مُحسنات مثل طابيثا﴾.

● «فَأَخرَجَ بطرس الجميع خارجاً. وجثا على رُكبَتَيْه، وصلّى ثمّ التفت إلى الجسد وقال: يا طابيثا قومي. ففتحت عينيها. ولمّا أبصرت بطرس جلست. فناولها يدهُ وأقامها. ثم نادى القدّيسين والأرامل وأحضرها حيّة. فصار ذلك معلومًا في يافا كلّها. فآمن كثيرون بالربّ» (أع ٩: ٤٠–٤٢).

لماذا يُخْرِجُ الجميعَ خارجًا ؟ حتى لا يتأثّر من الدموع ويضطرب. «وجثا وصلّى» ممّا يدلّ على امتداد الصلاة، وعلى الصلاة الحارّة «فناولها يده وأقامها» هنا يشير إلى الحياة والقوّة الخارجة منه لا بالقول فقط بل وأيضًا بحركَة اليد.

يسمح اللّه ألاّ تَتمّ العجائب دائماً بالسهولة نفسها، لأنّ الربّ لا يهتمّ فقط بخلاصِ الآخرين، بل وأيضًا بخلاص الرُسل الذين يصنعون العجائب، كلُّ حالة بما يناسبُها. أحيانًا كان مجرّدَ ظلّه يَشفي، وأحيانًا أخرى يحتاج إلى مثل هذه الصلاة المُرَكّزَة ليقيمَ الموتى. هذا مع العلم أنَّ الإيمان في بعض الأحيان يُطلَبُ قبل العجيبة. هذه الميتةُ كانت أوّل مَن أقامها بطرس، عندما ناداها باسمها متشبّهاً بمعلّمه (راجع إقامة لعازر **يوحنا ١١: ٤٣**) (راجع أيضًا **مر ٥: ٤١**) لقد قامت طابيثا كما منْ نوم، وفتحت عينيها، ولمّا أبصَرت بطرس جلست فمدّ يده وأقامها ...

«نادى القدّيسين» أي الاخوة المؤمنين من أجل تعزيتهم بإعادة أختهم إلى الحياة «ونادى الأرامل» من أجل خدمتهنّ من جديد.

● سرّ الموت

أمّا أنتَ فانظُر الربحَ الناتَج عن كلِّ ذلك. يُخْرِجُ الجميعَ خارجًا متشبّهًا في هذا بالمعلّم. (راجع إقامة ابنة رئيس المجمع يائير من الموت متى ٩: ٢٥ ومرقس ٥: ٤٠).

«فلمّا أُخرِجَ الجميعُ، ... دخل يسوع وأمسَك بيدها فقامت الصبيّة» (متى ٩: ٢٥).

لأنه حيث الدموع، لا يمكن أن يتمَّ مثل هذا السرّ، أو بالأحرى حيث العجائبُ ينبغي ألاّ تكونَ دموعٌ.

لكن أرجوكُمُ انتبهوا: حتى ولو لم تحصل مثلُ هذه العجائب **في حالة الموت اليوم**، إلاّ أنه **يتمّ سرٌّ عظيمٌ**: قُل لي أرجوك إن كنّا جالسين معًا، ويُرسلُ الملك إلينا أحدًا ليستدعينا إلى قَصره، أيجبُ علينا آنذاك أنْ نبكيَ وننتحبَ ؟ تُرسَلُ الملائكةُ من السماء لكي تستدعينا وأنتَ تبكي ؟ ألا تَعلمُ أن هناك سرّاً عظيمًا رهيبًا، يتمّ بالحقيقة ويستحقّ الترانيمَ والرّقْصَ ؟

أتريدُ أن تتحقّقَ أنَّ الوقتَ ليسَ وقتَ دموع ؟ أقولُ لكَ **الموتُ سرٌّ كبيرٌ لحكمة اللّه**. لأنه كمن يغادر الواحد مسكَنَهُ. وتُسرعُ النفسُ إلى ربِّها. وأنتَ تبكي؟ كان يلزم إذا أخذنا برأيك، أن يبكي الانسان عند ولادة الطفل. **الموتُ ولادة جديدة أسمى من تلك**. لأن النفس تتقدّم إلى نور أعظم. تتحرّر كمنْ سجن، تخرج كَمَن عراك. طبعًا هذا ينطبق على الصالحين. لكن الفَرق عنْدك أيُّها الإنسان ؟ طالما لا ترى ذلك حتى بالنسبة للصالحين. وكيف تستطيعُ أن تحكُمَ على الطفل المستنير جدًّا؟ لماذا تنوح عليه؟ ألا تعلم أنَّه كما أنَّ الشمس البرّاقة تطلعُ ، هكذا تفعل النفس عندما تغادر الجسد بضمير نَقيٍّ. إذ ذاك تلمع بشدّة. لا يستطيع ملك أن يدخل مدينةً بصمت، كذلكَ لا تستطيع النفس أن تغادر الجسد وتذهب مرافَقَةً من الملائكة بدون ضجّة. تَصَوّرْ ذلك! كيف أنَّ النفس تؤخذ بالعجب، بالابْتهاج والشكران ! لماذا تبكي إذًا ؟

تُرى أتفعلُ ذلك من أجل الخطأة فقط؟ ليت الأمر كذلك لا أمنعُ

هذا السلوكَ لأنَّ النَّوحَ عند ذلك مباركٌ رسولي وسيّدي: لقد بكى يسوعُ نفسهُ على أورشليم ....

إبك على الخاطىء وأنا أفيض معك بالدموع ... **لأنَّ الموتَ في الحقيقَة فاجعةٌ بالنسبة للخاطىء**. النوحُ للخاطىء درسٌ وفلسفةٌ له غايةٌ تربويّةٌ. أمّا ذاك النوحُ، فما هو إلاَّ علامة ضعف للنفس. النوحُ للخطيئة يُصلحُ الأحياءَ ... لأن الخطأة يستحقّون التَّرَنِّي والإشْفاقَ، عندما سوف يحضُرُون أمام منْبَرِ المسيح الرهيب ... كان خيرًا لهم لو لم يُوْلَدُوا (متى ٢٦:٢٤).

أحد المخلّع

(عن نشرة فوني كيريّو ١٩٨١)

• طريق الأبديّة

إمرأةٌ مكرّسةٌ لخدمة محبّتنا، تبرز أمامنا اليوم من خلال الرسالة . مصباحٌ يُضاء مُرسلاً النورَ وحرارتَهُ. هي طابيثا تلميذةٌ للمسيح تسكنُ مدينة يافا «وكان في يافا تلميذةٌ اسمها طابيثا الذي ترجمته غزالةٌ هذه كانت ممتلئةً أعمالاً صالحة واحسانات كانت تعملها» (أعمال ٩:٣٦). هي امرأةٌ بسيطةٌ مثقّفةٌ لا تنحدرُ من عائلة أرستقراطيّة غنيّة، لكن عندها قلبٌ كبير. تمسك الإبرة بيدها، وبهذه الإبرة تصنع عجائب. تُكسي العراةَ، تُطعم الجياعَ، ترفقُ بالأرامل والأيتام. «كانت ممتلئةً أعمالاً صالحةً وإحسانات» يقول الرسول واصفًا بكلمات قليلة حياتَها. **«الأعمالُ الصالحةُ»** هذه تكسبُها القيامةَ عندما تأتي ساعة الموت الرهيبة. لكن بعد هذه القيامة الأولى، وبمثابة امتداد للحياة الأرضيّة ما تكسبه طابيثا، أكثرُ هي القيامةُ «في ملكوت السماوات» أي الحياةُ الخالدةُ. **الإبرةُ التي بواسطتها كانت «غزالة تعمل أقمصة وثيابًا» (أع ٩:٣٩) للفقراء والأرامل أضحت مفتاحًا لباب الأبديّة.**

إن الرواية الرسولية عن إقامة طابيثا من الموت، تُخفي درسًا هامًّا لانسان كُلِّ عصر، درسًا يختصّ بمعاني أعمال المحبّة، ويكشفُ أنه بهذه الأعمال يتعلّقُ مصيرُ الإنسانِ الأبديُّ، كونُها ترافقُهُ حتى وراءَ القبرِ .

الحزمة والباكورة ـ للقديس كيرللس الإسكندري

«وكلَّمَ الربُّ موسى قائلاً: كلِّم بني إسرائيلَ، وقُل لهم: متى جئتم إلى الأرض التي أنا أعطيكم وحصدتم حصيدها، تأتون بحزمة أول حصيدكم إلى الكاهن. فيُردِّدُ الحزمة أمام الرب للرِّضَا عنكم، في غد السبت يُردِّدها الكاهن» (لا٢٣:١١).

لقد صار المسيحُ تقدمةً للآب من أجلنا، بصفته باكورةَ الأرض على طقس الحزمة. إنه في ذاته يُعتَبرُ سنبلةً واحدةً، ولكنه من جهتنا ليس سنبلةً واحدةً، ولكنه يُصْعِدُ ذاته كمثل حزمة، أي رابطة مكوَّنة من سنابلَ كثيرةٍ. وفي ذلك رمزٌ سرِّيٌّ نافعٌ لنا:

فإنَّ يسوعَ المسيحَ واحدٌ هو، ولكنَّهُ كمثل الحزمة يُعتبرُ جامعًا الكثيرين في ذاته، وهو كذلك لأنَّه يقتني في ذاته جميع المؤمنين في أتحاد روحي، ولهذا السبب يكتب بولس الطوباويُّ أننا «أُقمنا معه وأُجلسنا معه في السماويات» (أف٢:٦)، لأنه لَما صار مثلنا صرنا معه «شركاء في الجسد» (أف٣:٦)، وأغتنينا بالاتحاد به بواسطة جسده، ولذلك نقول إننا كُلَّنا فيه؛ بل وهو نفسُهُ يقولُ للّه أبيه الذي في السموات: «كما أني واحد معك، أُريد أنهم هم أيضًا يكونون واحدًا فينا» (راجع يو١٧:٢١)، وذلك لأنَّ «الملتصق بالرب يكون روحًا واحدًا معه.» (١كو٦:١٧).

إذًا، فهو حزمةٌ بصفته يقتني الجميعَ في ذاته، ويرفَعُ ذاتَهُ من أجل الجميع كباكورة للبشريّة المُكمَّلة في الإيمان، والتي صارت مستحقةً أنْ تنَال الكنوزَ العُليا السماويّة.

إنّهُ يقولُ (في سفر اللاويين) إنّهُ يجبُ ترديدُ الحزمة في غد اليوم الأول من الفَطير، أي في اليوم الثالث بعد الفصْح، لأن المسيح قام من بين الأموات في اليوم الثالث، وفيه أيضًا انطلق إلى السموات، إلى المسكن الحقيقيِّ وإلى قدس الأقداس.

ثم إنّهُ يقولُ: «لا تأكلوا من الحصيد الجديد إلى ذلك اليوم عينه الذي فيه تُردِّدُون الحزمةَ»، ذلك لأن الذين كانوا في زمانَ الناموس، بل وكلّ صفوف الأنبياء القديسين، لم يكن لهم الطعام الجديد الذي هو تعاليم المسيح، بل ولم يكن قد تمَّ لهم تجديد الطبيعة البشرية، إلاَّ كإعلانات سابقة، ولكن لما قام ربنا يسوعَ المسيح وأكمل ترديد نفسه كباكورة للبشرية أمام اللّه الآب، حينئذ بالذات تمَّ تغييرُ أعماق كياننا إلى حياة جديدة، وصرنا نسلُكُ بحسب الإنجيل: «ليس في عتق الحرف بل في جدَّة الروح.» (رومية ٧:٦).

سنكسار القديس إبيفانوس أسقف سلاميس

نشأته:

وُلدَ القديس أبيفانوس حوالي العام ٣٠٨م أو ربما ٣١٥م بقرية (بيزندوخ *Besanduk*) القريبة من بيت جبرين (الفتروبوليس *Eleutheropolis*) بفلسطين من والدين يهوديين. توفي والده وترك معه أختًا فقامت بتربيته في حياة تقوية. حدث وهو سائر في الطريق أنه أبصر فقيرًا يطلب صدقة من أحد الرهبان، وإذ لم يكن مع هذا الراهب مالٌ خلع ثوبه وقدمه للفقير. رأى أبيفانيوس كأنَّ حلّةً بيضاء نزلت من السماء على ذلك الراهب، عوَضَ الثوب، فتعجب من ذلك، وانطلق إلى الراهب يسأله عن إيمانه وحياته. التقى به أكثر من مرة وَقَبِلَ الإيمان المسيحي واعتمد، كما اشتاق إلى الحياة الرهبانية. أرسله الأسقف إلى دير القديس لوقيانوس وتتلمذ على يدي القديس إيلاريون (هيلاريون)، وقد تنبأ عنه معلمه أنه سيكون أسقفًا.

حياته الديرية في مصر:

لكي يتهيَّأ لدراسة الكتاب المقدس تعلَّم العبرية والقبطية والسريانية واليونانية واللاتينية، لذا دعاه القديس جيروم: «صاحب الخمسة ألسنة». وإذ كان محبًا لحياة النسك والتأمل ترك فلسطين إلى مصر،حوالي عام ٣٥٥م،ليلتقي بمجموعة من النُساك والرهبان، قبلَ اعتزاله في دير بالإسكندرية. إذ شعر بعض الغنوسيين بقدراته ومواهبه واشتياقاته، أرادوا كسبهُ فأرسلوا إليه بعض النساء الزانيات يَنْصُبْنَ له فخاخًا، لكنّه بنعمة الله لم يسقُط فيها، من هنا ندرك السبب الذي لأجله كرّس طاقاته للرَّد على الهراطقة، أيّاً كانوا ومقاومتهم أينما وُجِدُوا.

سيامته كاهنًا:

التقى بالقديس أنبا أنطونيوس وتتلمذ على يديه فترة من الوقت، ليعود من مصر إلى فلسطين وينشئ ديرًا في الفتروبوليس تحت إرشاده لمدة حوالي ٣٠عامًا، وكان

القديس إبيفانوس أسقف سلاميس

حازمًا جدًا مع نفسه، حتى إذ سألهُ أحدُ تلاميذه كيف يحتمل هذا النُسك الذي يفوقُ قوتَهُ، أجابه: «الله لا يَهَبُ ملكوت السموات ما لم نجاهد، وكلُّ ما نحتملهُ لا يتناسبُ مع الإكليل الذي نجاهدُ من أجله». بجانب نسكياته الشديدة القاسية، وعبادته التي لا تنقطعُ كرَّس وقتًا لدراسة كتب العلامة أوريجينوس، وإذ لاحظ أخطاءَهُ انقلب ضدَّهُ بعنف شديد، حتى حَسِبَهُ رأسَ كلِّ بدعة في الكنيسة، وصار له دَورُهُ الفعّالُ في إثارة الكثيرين ضد أوريجينوس، بل أستطاع فيما بعد، أن يغيّر أتجاه القديس جيروم من عاشق لأوريجينوس، بكونه عطية الله للكنيسةً إلى مقاوم عنيف له بكونه شيطانًا ضدَّ الحقِّ. إذ شَعر أسقُفُ المدينة بدور القديس أبيفانيوس، لا بين الرهبان فحسبْ وإنّما وسط الشعب الذي التفَّ حولَهُ، يطلبُ إرشاداته وبركتهُ، سامَهُ كاهنًا لكي تزداد المنفعةُ به على مستوى كلِّ الكنيسة في المدينة. التقى أيضًا بالقديس إيلاريون (هيلاريون) الذي تَنَسَّكَ في مايوما بفلسطين، وتكونت صداقةٌ عظيمةٌ حتى ترك إيلاريون المنطقة بسبب تَجَمْهُرِ الناس حوله.

سيامته أسقفًا:

يبدو أن القديس هيلاريون النَّاسك عندما هرب إلى قبرص من جمهرة الناس حوله، جاء إليه الأساقفة والكهنة مع الشعب بقبرص، يطلبون بركته فتحدث معهم عن القديس أبيفانيوس وحياته النسكية، وفضائله مع عمله وغيرته على الإيمان المستقيم . وإذ تنيَّحَ أسقفُ سلاميس بجزيرة قبرص، أكبرُ كرسيٍّ في الجزيرة في ذلك الحين، أُنْتُخِبَ أبيفانيوس أسقفًا وَسِيْمَ بغير إرادته عام ٣٦٧م، وقد بقى أمينًا في خدمته لمدينته الأولى يفتقدُها من وقت إلى آخَرَ.

حبه الشديد للفقراء:

إتَّسَمَ القديس أبيفانيوس بغيرته الشديدة، وحزمه بخصوص الإيمان المستقيم مع حبٍّ شديد فائق للفقراء، حتى لم يكن يترُكُ في الأسقفية أحيانًا شيئًا قطُّ... ومع ذلك فقدْ كان اللهُ يُرْسِلُ له الكثير جدًا ليُوَزِّعَهُ. مَنَحَتْهُ الأرملة القديسة أولمبياس أراضي ومالاً لهذا الغرض... ولعلَّ محبتَهُ للفقراء قد نبعت عن أنّها هي علّةُ قُبُوله الإيمانَ المسيحيَّ كما رأينا. قيل إنَّ تلميذَهُ طلب منه مرَّةً أن يضعَ حدًّا لهذا العطاء، إذ لم يعد معهما شيءٌ، وإذ انتهى التلميذُ من حديثه، تقدَّم إنسانٌ غريبٌ، وقدَّم كيسًا به ذَهَبٌ سَلَّمَهُ للأسقف، واختفى في الحال. جاء في سيرته أنَّ أحد المخادعين جاء يسألُهُ صدقةً لتَكْفين صديقه الذي مات، فأعطاه المالَ، وهو يقولُ له: «اعتنِ به يا ابني بدفن هذا المسكين، ولا تُضَيِّعَ الوقت في البكاء عليه، فإن رفيقك لا يقيمُهُ بكاؤكَ، وليس له دواءٌ إلا الصبرُ.» أخذ الطمّاعُ المال وذهب لصديقه ليقيمَهُ فوجدَهُ قد مات حقًا !!

تحركاتُهُ الكثيرةُ:

كان كثيرَ الحركة، يحملُ روحَ التَّقوَى والنُّسكَ والغيرةَ علَى الإيمان أينما وُجِدَ. قامَ برحلة عام ٣٧٦م إلى إنطاكيَّة ليسعى لتوبةَ الأسقف فيتاليس الذي تبع

أبوليناريوس، وبعد ٦ أعوام اصطحب القديس بولينوس أسقفَ إنطاكية إلى روما، ليَحْضُرا مجمعًا عقده الأسقفُ داماسيوس. لقد أقاما في بيت الأرملة باولا صديقة القديس جيروم، والتى استضافها القديس أبيفانيوس بعد ثلاثة أعوام ،وهي في الطريق إلى فلسطين لتَلْحَقَ بأبيها الروحيِّ، القديس جيروم.في عام ٣٩٢م نزل أيضًا ضيفًا على القديس يوحنا أسقف أورشليم، وفيما هو في أستضافَته إذ وقف يتكلّم في كنيسة القيامة التي للقبر المقدّس، هاجم مُستضيفَهُ لأنه متعاطفٌ مع أتباع أوريجينوس. انضمَّ إليه جيروم في بيتَ لحمَ الذي ردَّهُ عن حبِّه لأوريجينوس إلى مضاداته، وصارا يهاجمان الأسقف يوحنا بعنف... غير أنه يبدو أنه قد تصالح أخيرًا مع القديس يوحنا. دخل أيضًا في صراع شديد مع القديس يوحنا الذهبي الفم بالقسطنطينية لأنه قَبِلَ الإخوة الطِّوالَ الذين جاءوا من مصر، وهم أتباع أوريجينوس، الهاربين من اضطهاد البابا ثاوفيلس الإسكندري بسبب تَعلُّقهم بأوريجينوس. رقَدَ القديس أبيفانيوس في طريق عودته مَن القسطنطينية إلى قبرص في ١٢ أيّار ٤٠٣م. صارت له شهرته بسبب كتاباته.

كتاباته وأفكاره:

كان القديس أبيفانيوس مقاومًا للتفسير الرمزيِّ للكتاب المقدس، حاسبًا أنَّ المبالغة في الرَّمزيَّة هي أساسُ كلِّ هرطقَة، وقد قاوم الرمزيّة بكل طاقاته في شخصَ العلاّمة أوريجينوس، أمّا أهَمُّ كتاباته فهي:

١) Ancoratus (الإنسانُ ذو المرساة الثابتة) يحوي تعليمَ الكنيسة عن الثالوث القدوس، مقاومًا الأريوسيين، وعن حقيقة التجسد مقاومًا أبوليناريوس،الذي أنكر وجودَ نفس بشرية للسيد المسيح، وعن قيامة الجسد، وعن إله العهد القديم مقاومًا أتْباعَ ماني، ومرقيون رافضي العهد القديم، كما حَثَّ على بذل كُلِّ الطاقة ليقبَلَ الوثنيون الإيمانَ خلال عمل الله معهم.

٢) أهمُّ كتاب له هو «ضدُّ الهرطقات Panarion» فإذْ قرأ الأرشمندريتان أكاكيوس وبولس كتابه الأول، طَلَبا منه تحليلاً مُفَصّلاً عن الهرطقات الثمانين والرد عليها. ضَمَّ بين الهرطقات ٢٠ هرطقة قَبْلَ المسيحية مثل المدارس الفلسفيّة الهيلينيّة.

٣) كَتَبَ «الأوزان والمقاييس» لكاهن فارسي، هو أشبَهُ بقاموس بدائي للكتاب المقدس، فيه يعالجُ قانونَ العهد القديم وترجماته، وأوزان الكتاب ومكاييله، وجغرافية فلسطين.

٤) «الاثنا عشر حجرًا كريمًا» التي على صدريّة رئيس الكهنة

تمّ إنشاء أسقفيّة الرّوم الأرثوذكس في وقت مبكر جدًّا في قبرص ،وفي الصورة أعلاه كاتدرائية في فماغوستا ، حيث رفات القديس أبيفانوس، والتي ازدهرت حتى القرن السادس عشر، إلى حين الأجتياح والأحتلال التركي البربري للجزيرة .

في العهد القديم (خر ٢٨:١٥–٣٠). كتبه عام ٣٩٤م كطلب ديؤور الطرسوسي. يقدم فيه تفسيرًا رمزيًا للحجارة الكريمة، ويصف عملها الطبي. ويعني بها اسباط إسرائيل الأثني عشر.

٥) رسائله، من بينها رسالة للقديس يوحنا أسقف أورشليم، وأخرى للقديس جيروم، كلاهما ضد الأوريجانية. من كلماته : روى لنا الأسقف القديس أبيفانيوس أنَّ بعض الغرْبان كانت تطيرُ حول **معبد سيرابيس** في حضرة الطوباوي أثناسيوس، وكانت تنعَقُ بلا انقطاع (كراك، كراك Cow). وإذ كان بعض الوثنيين واقفين أمام الطوباوي أثناسيوس، قالوا له: «**أيها الشيخ الشرير أخبرنا بماذا تنعق هذه الغربان؟**». أجابهم: «إنها تقولُ كراك Cow التي تعني باللاتينية غدًا» ثم أضاف: «غدًا ترون مجد الله» وفي اليوم التالي وصل نبأُ **موت الإمبراطور يوليانوس**...

من أقواله:

الكنعانية تصرخ فيُسمَعُ لها (مت ١٥)، ونازفَةُ الدم تصمتُ فتُطوَّبُ (لو٨)، بينما الفريسيُّ يتكلَّمُ فيُدانُ (مت٩)، والعشَّار لا يفتح فاه فيُسمَعَ له (لو١٨).

قراءةُ الكتاب المقدس أمانٌ عظيم ضدُّ الخطيئة.

أ جهلُ بالكتب المقدسة هاويةٌ عميقةٌ وهوةٌ عظيمةٌ.

الله يبيعُ البرَّ بثمن بخس للغاية للذين يريدون أن يشتروهُ: بقطعة خبز صغيرة، بثوب وضيع، بكأس ماء بارد، بفلس واحد.

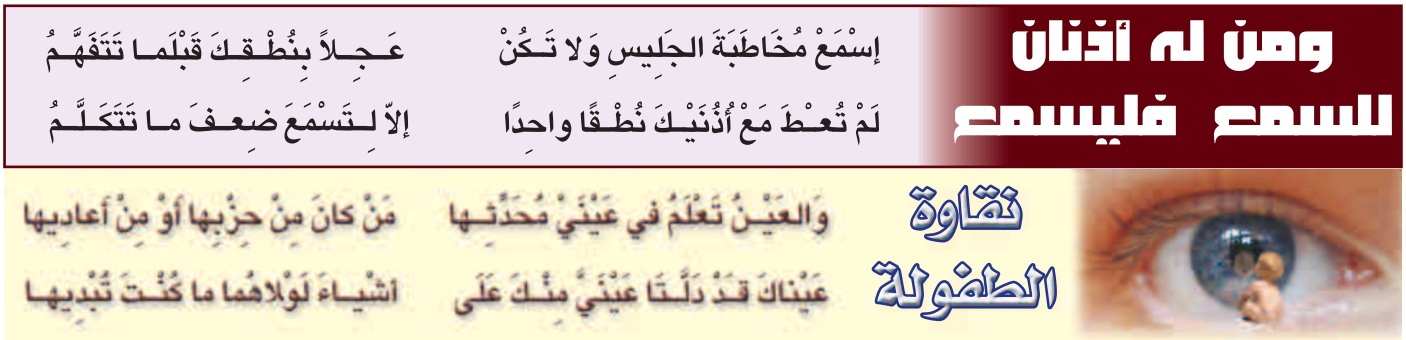

«هناك نهرٌ فروعُهُ تفرح مدينة الله» (مز ٤٥).

تعجُّ مياه البحر المالحةُ وتضطَّربَ، إذ تعصفُها الرياحُ بشدّة، أما جداولُ الأنهار فتمضي في طريقها بلا ضوضاء، وتتدفّقُ في صمت نحو أولئكَ المستحقّين قُبُولَها، فتجعلُ مدينةَ الله مُفْرِحَةً وبهيجةً.

في الوقت الحاضر، يشربُ الإنسانُ البارُّ الماءَ الحيَّ، أمَّا في المستقبل فسوفَ يشربُ بشكل أكثرَ وفرةً، وذلك عندما يُسجَّلُ كمواطن في مدينة الله. الآن هو يَشربُ منْ خلال مرآة كما في لُغز (١كو١٣)، بسبب إدراكه التدريجيِّ لأمور التأمُّل الإلهيّة، لكنَّ حينئذ سوف يستقبلُ النَهَر الفيَّاضَ مباشرَةً، النهرَ الذي يستطيعُ أن يَغْمُرَ كلَّ مدينة الله بالفرح.

من يكونُ هذا النهرُ الإلهيُّ إلاَّ **الروحُ القدسُ**، الذي يَحلُّ على أولئك المستحقين منْ جرَّاء إيمان المؤمنين في المسيح؟ يقول الكتاب: **«من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهار ماء حيّ» (يو٧)**، وأيضًا يقول: **«من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد. بل الماء الذي أُعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبعُ إلى حياة أبدية» (يو٤)**.

وفقًا لذلك، هذا النهرُ يجعلُ في الحال كلَّ مدينة الله بهيجةً، أي كنيسة أولئكَ المتمسكين بإسلوب سماوي في الحياة، أو يمكنُنا فهمُ المَدينة على أنَّها كلُّ مخلوق عاقل ـ منَ الطُّغُمات السماوية حتى إلى الأنفس الإنسانية ـ والتي جُعلَت بَهيجَةً من خلال أنسكاب الروح القدس.

يتمُّ تعريفُ «مدينة» على أنَّها جماعةٌ مؤسَّسَةٌ يتمُّ إدارتها طبقاً لقانون. وهذا التعريفُ يتوافقُ مع «مدينة الله الحيّ، أورشليم السَّماوية النازلة من فوقُ. إذ أنّها كنيسةُ أبكار مكتوبين في السَّموات» (ع١٢)، وهذه الكنيسةُ مؤسّسَةٌ على نوعية حياة القديسين المقدسة التي لا تتغيّر، وَيَتمُّ إدارتُها طبقًا للقانون السماويّ. ولذلك أنْ تتعلّم تنظيم تلك المدينة، وكلِّ زينتها ليس بأمتياز للطبيعة البشرية. بل كُتبَ عنها: «ما لم ترَ عيْنٌ ولَمْ تسمع أذنٌ ولم يخطُر على بال إنسان، ما أعده الله للذين يحبونَه» (١كو٢)، لكنْ هناك ربواتُ محفل الملائكة، ومجمع قديسين، وكنيسة أبكار مكتوبين في السموات (عب١٢). قال داود عن ذلك: «قد قيل بك أمجادٌ يا مدينة الله» (مز٨٦)، ولهذه المدينة وَعَدَ الله بواسطة إشعيا: «أجعلُك فخرًا أبديًّا، فَرَحَ دَوْرٍ فَدَوْرٍ ... لا يُسْمَعُ بعدُ ظلمٌ في أرضك ولا خرابٌ أوْ سَحْقٌ في تُخومك، بل تُسَمِّينَ أسوارَك خلاصًا وأبوابَك تسبيحًا» (إش٦٠).

لذلك أطلبُوا ـ رافعين عُيونَ قلوبكُمْ ـ كلَّ ما يتعلَّقُ بمدينة الله، بأسلوب جدير بالأمور السماوية.

كيف يمكنُ لأي إنسان أنْ يحسبَ نفسَهُ مستحقًا للتّمتُّع بهذه المدينةَ، التي يُفرِّحُها نهر الله (الروحُ القدسُ)، والتي صانعُها وخالقُها الله؟!

«لقد قدَّس العليُّ مسكنَهُ».

ربما، يتكلمُ هنا عن ناسوت الرَّب الذي تقدَّسَ من خلال الأتحاد باللاهوت، من هنا نفهمُ أنَّ مسكنَ العليِّ، هو ظهورُ الله في الجَسَد.

«اللهُ في وسطها فلن تتزعزع، اللهُ عند أنبثاق الصُّبح ينصرُها».

بما انَّ الله هو في وسط المدينة، سوف يعطيها أستقرارًا ومعونةً عند أنبثاق الصُّبح. لذلك كلمةُ «مدينة» توافقُ إمَّا أورشليمَ السّماوية، أو الكنيسةَ الأرضيَّةَ. «لقد قدَّس العليُّ مسكنَهُ» فيها. ومن خلال هذه الخيمة، التي حلَّ فيها اللهُ بينَنا، كان في وسطها، مُعْطيًا إيّاها ثباتًا ...

إنَّ الشمسَ المحسوسة تُنتجُ الصباحَ الباكرَ بينَنا في وقت مبكر، بأرتفاعها فوق الأفق قَبالنا، وشمسُ البرِّ (مل٤) تُنتجُ الصباح الباكرَ في نفوسنا، بأرتفاع النور الروحي فينا، جاعلاً في النفس ـ التي تعترفُ به ـ **نهاراً**. إذ أنَّ «**الليل**» بالنسبة لنا يَعني أننا مازلنا في أزْمنَة جَهْل. لذلك، لنَقْبَلْ «إشراقَة مجده» بأنفتاح ذهن، ولَنَسْتَنِرْ بتَوَهُّج بالنور الأبديّ. عندما نصيرُ أولاد النور، عندما يتناهى الليلُ في نفوسنا ويتقارب النهار (رو١٣)، عندئذ نصير مستحقين لمعونة الله. هكذا الله يعيُن المدينة، باثقًا فيها نهارًا ونورًا من خلال **قيامته ومجيئه**. فلقدْ قيل عن الرب: «هوذا رجل، الشرق اسمه» (زك ٦:١٢سبعينيّة). فبالنسبة لأولئك الذين أشرق عليهم النور الروحيُّ، عندما تتحطَّمُ الظلمةُ الناتجةُ منَ الجهل والشر، سوف يكونُ الصباحُ الباكرُ على الأبواب. لهذا جاء النورُ الحقيقيُّ إلى العالم، حتى كلُّ من يمشي في النور لا يَتعثَّرُ، ومعونةُ الرَّبِّ تَبثقُ الصباحَ الباكرَ في النفس.

وأيضًا قد يقصد بمعونته للمدينة عند أنبثاق الصبح، كيف أنه ربح الأنتصارَ **ـ منَ خلال الموت ـ باكراً يومَ القيامة، في اليوم الثالث، إذ أنَّ قيامةَ الربِّ** كانت في غَسَقِ الصباحِ الخافت.

التجديف على الروح القدس

من الرسالة الرابعة لسرابيون الأسقف للقديس أثناسيوس الإسكندري

« كل خطية وتجديف على ابن الانسان يغفر له أما التجديف على الروح القدس فلا مغفرة له لا في هذا الدهر ولا في الدهر الآتي أيضًا» (مت١٢: ٣١-٣٢)

هذه هي الكلماتُ التي تسألُ عن معناها:

بعد إجراء معجزات كثيرة كما ذكر الإنجيلُ، قال الفريسيون «هذا الإنسان يخرج الشياطين ببعلزبول رئيس الشياطين» والرب الذي عرف أفكارهم قال لهم: « كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب» (مت١٢ : ٢٤ –٢٥). وبعدها مباشرة قال: « إن كنت بروح الله أخرج الشياطين فقد جاء عليكم ملكوت الله» (مت١٢:٢٨). ثم ختم بقوله: « كل خطية وتجديف على ابن الانسان، يغفر له أما التجديف على الروح القدس فلا مغفرة له، لا في هذا الدهر ولا في الدهر الآتي أيضًا» (مت١٢: ٣١–٣٢).

ومن هنا جاء سؤالُكَ: لماذا يَغفرُ التجديفَ على الابنِ؟ ولماذا لا يَغفرُ التجديفَ على الروحِ القدسِ لا في هذا الدهرِ ولا في الدهرِ الآتي أيضًا ؟ ...

أجدُ في الكلمات السابقة عمقًا عظيمًا، ولذلك بعد أن صَلَّيْتُ بلجاجة للربّ الذي جلس عند البئر، ومشى على المياه، أعودُ إلى تدبير الخلاص الذي تمَّ، راجيًا أنْ أكونَ قادرًا على أن أملأ دلوي من معاني الكلمات الإنجيلية التي نبحثُها.

كلُّ الكتب الإنجيلية وبالـذات يوحنا تخبرُنا عن التدبـير الإلهيِّ « الكلمة صار جسدًا وسكن فينا» (يو١:١٤) ، وبولس عندما يكتب: « الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب مساواته للّه اختلاسًا بل أخلى ذاته، وأخذ صورة عبد وصار في شبه الناس» (في٢:٦–٨).

ولأنَّه الإله الذي أخلى ذاتَهُ، وصار إنسانًا، أقام الموتى وشفى المرْضَى، وبكلمته حوَّلَ الماءَ خمرًا... وهذه كلُّها أعمالٌ ليست من قدرة البشر. ولكنهُ جاع وعطش وتألّم لأنه أخذ جسدًا وكلُّ أعمال الجسد ليست من صفات اللاهوت. كإله قال «أنا في الآب، والآب فيَّ»(يو١٤:١١)، ولأنه أخذ جسدًا حقًا وبكل يقين، انتهر اليهود قائلاً: «لماذا تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلَّمَكُمْ با حَقِّ الذي سمعه من الله» (يو٨:٤٠). ورغم كونه إلهًا إلا أنَّه لم يَقُمْ بهذه المعجزات مرة واحدة، لأنه تجسد وكان عليه أن يواجه الاحتياجات والظروفَ المرتبطةَ بحياته كإنسان. لكن لم تكن أعمالُ الجسد تتم بدون اللاهوت، أو أعمال اللاهوت تتم بدون الجسد، بل على العكس كلُّ أعماله صنعها الرَّبُّ الواحدُ، الذي أكملَ كلَّ شيء في سرِّ نعمته. وعلى سَبيل المثال، بَصَقَ على الأرض كما يبصق كل الناس، لكنَّ لُعابَهُ وحده كان فيه قوّةٌ إلهيةٌ لأنّهُ وهبَ به البصَر لعينَي المولود الأعمى (يو٩:٦). ورغم أنه الإله إلا أنّه تكلم بلغة بشريّة، وقال: «أنا والآب واحد» (يو١٠:٣٠). وبإرادته منح الشفاءَ (مت ٨:٣). ولكنْ عندما مدَّ يدَهُ الإنسانية. أقامَ حماةَ سمعانَ بطرس من الحمّى، (مر١:٣١)، وبنفس اليَد أقامَ منَ الموت ابنة رئيس المجمع (مر٥:٤).

وقد أخطأ الهراطقَةُ كلٌ حسبَ مقدار جهله. البعضُ منهم نسبَ كلَّ ما حدث منَ الرَّبِ لجسده، (أي كإنسانٍ) وتعامَوْا عن القول الإلهيِّ «في البدء كان الكلمةُ» (يو١:١). والبعضُ نسبَ ما حدث إلى لاهوته فقط، ولم يفهَمُوا القولَ: «الكلمةُ صار جسدًا» (يو١ : ١٤). لكنَّ المؤمنَ الذي يتبعُ تعليمَ الرسل، يعرف غنى الرَّبِّ ومحبتَهُ للبشر. وعندما يرى أعمالَهُ العجيبةَ الإلَهيةَ يمجّدُ الرَّبَّ الذي ظهر في الجسد. وعندما يرى أعمالَ الجسد يتعجَّبُ، ويرى فيها القوّةَ الإلهيةَ التي تعملُ. **هذا هو إيمانُ الكنيسة**، ولذلك إذا ثَبَّتَ البعضُ عيونَهم على الجانب الإنسانيِّ في حياة الربِّ وشاهدوه يختبرُ الجوعَ والتعبَ والألم، يتحدثون عنه بدون تقْوى كمَنْ يتحدث عن إنسان فقطْ، فيخطئون بذلك خطيئةً عظيمةً. وبلا شكٍّ إنْ لم يتأخَّروا في التوبة يمكنُهُم الحصولَ على المغفرة لأنَّ ضعفَهُمُ الإنسانيَّ هو عذرٌ لهم. وحتى الرسول يمنحهم المغفرة وبطريقة ما يمدُّ يدَهُ إليهم لأنه بالحق يقول: «وبدون جدل، عظيمٌ هو سرُّ التقوى الله ظهر في الجسد»(١تي٣:١٦). وعندما يرى البعضُ أعمال اللاهوت يتردّدونَ في الاعتراف بإنسانيّته. وهذا خطأ بالغ، ويتوهَّمُون عندما يقرأونَ أنَّ الربَّ يأكلُ ويتألم أنه خيالٌ، هؤلاء إذا لم يتأخَّرُوا في التوبة سيغفرُ لهم يسوعُ لأنهم لا يفهمون أعماله الفائقة التي أتمَّها في الجسد. وإذا فحصنا جهلَ هؤلاء وأولئكَ، أي الذين يُخْطئُونَ ولهم معرفةٌ بالناموس مثل الفريسيين، أو الذين يستسلمونَ للجنون وينكرون وجود الكلمة في الجسد، أو يذهبون إلى أبعدَ منْ هذا، عندما ينسبونَ أعمالَ اللاهوت إلى الشَّيطان وجنوده. فأنه منَ العدل أن تكون عقوبةُ عدم تقواهُمْ هي عَدَمُ المغفرة لأنَّهمُ اعتبرُوا الشيطانَ مثلَ الله، وحَسِبُوا أنَّ مَنْ هو بالحقيقة اللَّهُ، لا شيءَ في

أعماله يدلُّ على ألوهيته، بل أنَّه الشيطانُ يستخدمُ أعوانَهُ.

وإلى هذه الدرجة السُّفلى من عدم التقوى، انحدر اليهود في ذلك الزمان، وبالذات الفريسيون منهم. ورغم أنَّ الرب كان يقوم بأعمال الآب علانيةً، فهو أقام الموتى، ومنح النظر للعميان، وجعل العُرْجَ يمشُونَ، وفتح آذان الصمّ، وجعل الخرسَ يتكلمون معلنًا أن الخليقةَ العاقلةَ، وغيرَ العاقلة خاضعةٌ له، لأنه هو الذي أمر الريح ومشى على البحر، والجموع عاينت هذا وامتلأت بالدهشة ومَجَّدَت اللهَ، إلا أن الفريسيين قالوا إنَّ هذه أعمال بعلزبول، ومنْ فَرْطِ جنونهم لم يخجلوا من أن يعطوُا للشيطان قوةَ الله. وأمام هذا أعلنَ الرّبُ بالحقِّ أنَّ تجديفَهُم بلا مغفرة، لأنهم عثروا في كل ما يختصُّ بإنسانيته، وكان لهم في المسيح كإنسان، رأيٌ شريرٌ، وإذ قالوا: «أليس هذا ابن النجار» (مت١٣:٥٥)، وكيف يفهَمُ الكتبَ وهو لم يدرسها (يو٧:١٥)، وما هي المعجزات التي «تعملها لنؤمن بك» (يو٦:٣٠) و«ليَنْزِلْ عن صليبه الآن لنرى ونؤمن» (مت٢٧:٤٢). وقد احتمل الرَّبُّ كلَّ هذا، وسمَّى الإنجيل مثل هذه الأقوال بالتجديف على ابْن الإنسان، وتألم الرب من قساوة قلوبهم (مر٣:٥)، وقال: لو كنتم تعلمون ما هو سلامُكُم (لو١٩:٤٢). وغفر الربُّ لبطرس عندما تكلمت معه الجاريةُ عن يسوعَ كإنسان وأجاب بطرس بطريقة لا تختلف عن رأي الجارية وكلامها، ولكنَّ الربَّ غفر له عندما بكى بدموع. أمَّا عندما سَقَطَ الفريسيون إلى أدنى منْ كُلِّ هذا وتفوَّهُوا بما هو شرٌّ من كلِّ ما سبق، حتى أنهم قالوا إنَّ أعمال الله هي أعمال بعلزبول، لم يحتملْهُم لأنهم جَدَّفُوا على روحه بقولهم: إنَّ مَنْ يعملُ هذه الأعمال ليس الله ولكنه بعلزبول. ولهذا السبب أستحقّوا عقوبةً أبديةً. وفي الحقيقة إن جرأتَهُم زادت عن الحدّ، وعندما رأوا ترتيبَ العالم والعنايةَ به نَسَبُوا ا لخَلْقَ إلى بعلزبول، حتى أنَّ الشمسَ صارت بحسب قولهم تحت سلطان الشيطان وأصبح الشيطان هو الذي يُحَرِّكُ النجوم في السماء، لأنَّ كلَّ أعمال الآب كخالق، عَمِلَها يسوع فإذا قالوا إنَّ أعمال يسوع هي أعمال بعلزبول، فكيف إذن يفهمون القولَ الإلهيَّ «في البدء خلق الله السموات والأرض» (تك١:١).

ولكنَّ مثل هذا الجنون ليس غريبًا عنهم لأنَّ آباءهم أظهروا نفس الطباع، فبعد خروجهم من مصرَ، صنعوا العجلَ الذهبيَّ في البَرِّيَّة ونَسَبُوا إليه المعجزاتِ والبركات التي أخذوها من الله وقالوا «هذه آلهتُك يا إسرائيل التي أخرجتك من أرض مصر» (خر٣٢:٤)، وبسبب هذا التجديف الذي ارتكبه أولئك المجانين تَّم فناء الكل في البَرِّيَّة، وأعلن الله أنَّه في يوم افتقاده «سوف يجلب شرَّهُم عليهم» (خر٣٢:٣٤). وعندما اشتكوا من انعدام الخبز والماء اهتمَّ بهم تمامًا مثل اهتمام المُـرْضعَة برضيعها، ولكنهم زادوا الشَّكوَى إلى الحدّ الذي وصفه الروح القدس في المزامير «أبدلوا مجده بصورة العجل الذي يأكل الحشيش» (مز١٠٥:٢٠). وعندما اجترأوا على ارتكاب مثل هذا العمل الذي لا مغفرةَ له، ضربَهُم الرَّبُّ كما يقولُ الكتابُ بسبب العجل الذي سَبَكَهُ هارونُ (خر٣٢:٣٥).

وتصرف الفريسيون بنفس الوقاحة، ولذلك أخذوا من الربِّ عقوبةً مماثلةً، بل هي عقوبةٌ مثلُ عقوبة بعلزبولَ نفسه الذي تَحدَّثُوا عنه، كي يحترقوا معه بنارٍ أبدية.

ولم يكن الرَّبُّ يقصد بما قاله في الإنجيل أنْ يقارن بين التجديف الموجَّه ضده، والتجديف الموجَّه للروح القدس، ولا أشار ولو من بعيد، أو بطريق غير مباشر إلى أن الروح القدس أسمى منه. ولا لأنَّ التجديف على الروح أخطَرُ، نطق الرب بهذه الكلمات ـ حاشا ـ لأنه علّمَ منْ قبل أنَّ كلَّ ما هو للآب فهو للابْن، وأن الروح يأخذ من الأبْن وبذلك يمجد الأبنَ (يو١٦:١٤-١٥). والروح لا يعطي الابن بل الابن هو الذي يعطي الروحَ وقد أعطاه لتلاميذه، وبهم يعطيه لمن يؤمنون به بواسطتهم. ولم يكن الرَّبُّ يقارن نفسه بالروح عندما قال هذه الكلمات، كما أنها لا تعني أن الروح أسْمَى من الرَّبِّ، فهذا سوءُ فهم لكلمات ا لخَلِّص. والتجديفُ بنوعيْه موجَّهٌ بالضرورة للروح القدس. والنوع الأول من التجديف مُحْتَمَلٌ، أما النوع الثاني فهو خطيرٌ.

وقد ارتكب الفريسيون نَوْعَي التجديف لأنهم رأوْهُ إنسانًا فأهانوه بقولهم: «من أين له هذه الحكمة» (مت١٣:٥٤). وقولهم: «أنت لم تبلغ بعد من العمر ثلاثين سنة فكيف رأيت إبراهيم» (يو٨:٥٧). ورغمَ أنهم رأوا أعمال الآب فيه إلا أنهم لم يرضوا بألوهيّته. وبدلاً منْ هذا قالوا إنَّ بعلزبول فيه، وإنَّ هذه الأعمالَ هي أعمال بعلزبول، وبذلك أصبح تجديفهُمْ بنَوْعَيْه مُوَجَّهٌ ضدَّهُ. والنوع الأول أقلُّ خطورة بسبب العُذْر الواضح وهو إنسانيّته، أمَّا النوع الثاني فهو أكثرُ خطورةً لأنَّهُ إهانَةٌ مُوَجَّهَةٌ إلى ألوهيّته. ومثل هذا التّجديف الخطير، هو الذي استدعى عقوبَةَ عدم المغفرة. ومن الواضح أنَّ الربَّ كان يشجعُ التلاميذ عندما قال لهم: «إذا كانوا قد دَعَوا رَبَّ البيت بعلزبول» (مت١٠:٢٥)، وأكدَّ هنا، أنه هو رب البيت الذي جَدَّفَ عليه اليهودُ.

أما اليهودُ فعندما قالوا عنه «**بعلزبول**»، فهم لم يُهينُوا أحدًا سوى الربِّ يسوعَ، وهذا واضحٌ من التعبير نفسه. لأنَّ كلمةَ «الروح» في نصِّ الإنجيل «أما التجديف على الروح» (مت١٢:٣١) تشير إلى الرّبِّ نفسه. وكلُّ هذا القول يَقْصدُ به نَفْسه. لأنَّ «رَبَّ البيت» يُرادُ به المسيحُ، أي ربُّ الكون كله. وأنا أرجوكَ ألاّ تتضايقَ من هذا التكرار فهو لازمٌ إذا كنا نحرصُ على الوصول إلى المعنى الدقيق للنَّصِّ، ولذلك سأعودُ إلى ما ذكرتُهُ سابقًا أنَّ الجوعَ والتعبَ والنومَ والإهانات كلّها خاصَّةٌ بناسُوته، أمّا الأعمالُ الباهرةُ التي كان يقومُ بها الرَّبُّ، فلم تكن أعمالَ إنسَان، بل أعمالَ الله. لذلك إذا ما شاهدَ بعضُ الناس الأشياءَ الخاصةَ بالإنسان مثلَ الجوع... الخ، وأهانُوا الربَّ لأنَّه حسَبَ ظَنِّهم مجرَّدُ إنسان، فقدَ حُسِبُوا مستحقين لعقوبة أقل من عقوبة أولئك الذين ينسبون أعمالَ الله للشيطان. لأنَّ هؤلاء لا يكتفون بإلقاء الأشياء المقدسة للكلاب (مت٧:٦)، بل يجعلون الله مساويًا للشيطان وَيَدْعُونَ النورَ ظلمةً (إش٥:٢٠). لذلك سجَّل مرقس أنَّ تجديفَ اليهود بلا مغفرة، «وأما من جدف على الروح القدس فلن يغفر له بل هو مستحقٌّ دينونةً أبديةً، لأنهم قالوا إنَّ به روحًا نجسًا» (مر٣: ٢٩ – ٣٠).

والرَّجُلُ المولود أَعمى منذ ولادته عندما أبصر، شهد بأنّه لم يسمع من قَبْلُ أن أحدًا فتح عينَيْ مولود أعمى، ولذلك قال: «فَلَوْ لم يكن هذا من الله، لما استطاع أن يفعل شيئًا» (يو٩:٣٢-٣٣). حتى الجموع نفسها عندما أمتلأت من الإعجاب بما فعله الرّب قالت: «إنَّ هذه ليست أعمال من فيه شيطانٌ ، هل يقدر شيطان أن يفتح أعين العميان» (يو١٠:٢١). أمَّا هؤلاء الذين أمتلأوا من معرفة الناموس، أي الفريسيون وهم الذين يلبسون العصائب العريضة (مت٢٣:٥)، ومزهوُّون بمعرفتهم بالناموس أكثر من باقي الناس (يو٩: ٢٤-٢٩)، كان من المفروض عليهم، بسبب هذه المعرفة، أن يخجلوا ولكن كما هو مكتوب عنهم أنهم «تعساء لأنهم ذبحوا للشيطان وليس للّه»(تث٣٢:١٧). وعندما قالوا إنَّ بالرب شيطانًا، وإنَّ أعمال الله هي أعمال الشيطان، لم يكن لديهم أي أسباب مقنعة تدفعهم إلى هذا الاعتقاد. والدافع الحقيقيُّ لمثل هذا التجديف، هو رغبتهم في أَنْ ينكروا أَنَّ الذي يعمل هذه الأعمال، هو الإلهُ ابنُ الله. وبالحقيقة لقد أكل أمامهم، وشاهدوا جسده، وتأكدوا أنه إنسانٌ، فكان لديهم فرصة لأن يقتنعوا منْ أعماله أَنَّ الآب فيه وأنه في الآب. أما لماذا لم يقتنعوا؟ فلأنهم لم يَشَاءُوا.

وفي الحقيقة، لقد سكن بعلزبول في الفريسيين. وكان بعلزبول هو الذي يتكلم فيهم. ولذلك قالوا عن المسيح أنه مجرد إنسان، بسبب ناسوته، دون الأعتراف به إلهًا بسبب أعماله التي هي أعمال الله. ولكن بهذه السقطة **ألّهوا بعلزبول** الذي سكن فيهم، والذي في النهاية سوف يعاقبُونَ معه في النار إلى الأبد.

ودراستُنا للنصِّ، تُوْضِحُ لنا أنّه يعني نوعي التجديف اللذين أشرنا إليهما سابقًا. ذلك أَنَّ المخلِّصَ أشار إلى نفسه عندما قال «ابن الإنسان» ولكنّه كان يعني أيضًا نفسه عندما تحدث عن «الروح». والاسم الأول «ابن الإنسان» يوضح تجسده، والاسم الثاني «الروح» يوضح طبيعته الروحية غير المادية ولاهوته. وفي الواقع أَنَّ الخطيئة التي يمكن غفرانها هي العثرةُ الناتجة عن رؤية ناسوته، أي ما يتعلق به كأبن الإنسان، ولكنَّه أوضح أنَّ التجديف الذي لا يمكن مغفرته هو التجديف على «الروح» أي على الطبيعة الإلهية ...

واستعمال كلمة «روح» جاء بنفس المعنى في حديث الربّ مع السامرية عندما وجَّهَ فكرها إلى المعنى الروحيِّ ورفع نظرها إلى الأمور غير المادية بقوله لها «الله روح» (يو٤:٢٤)، لكي يستقر

في قلبها الفهم الصحيح عن الله، أنه ليس من طبيعة مادية محصورة في مكان، بل أنه روحٌ. وهذا ما يعنيه كلام النبى الذي يقول، عندما يشير إلى الكلمة وقد تجسد: «روح حياتنا هو المسيح الرب» (مراثي٤:٢٠). وحتى لا يَعْثُرَ أحد ما بالشكل الخارجيِّ الملموس، ويظن أن الرب هو مجرد إنسان، جاءت كلمة «الروح» لتؤكد أن الذي في الجسد هو الله.

وهكذا يبدو لنا أمران ظاهران تمامًا:

الأول: هو حالة من يرى الرب في الجسد، ويعتبرُه مجرد إنسان، ويقول بعدم إيمان «من أين الحكمة لهذا الإنسان» (مت١٣ :٥٤). وكل من يتكلم بهذا يخطئ بدون شك، ويجدِّف على ابن الإنسان

والثاني: يرى أعماله التي تتم بالروح القدس، ويقول إنَّ صانع هذه الأعمال ليس الله ولا أبن الله، وينسب هذه الأعمال لبعلزبول، مثْلُ هذا يُنْكِرُ لاهوته، وهذا ما يظهر واضحًا عدة مرات في الإنجيل، لا سيما في النّص الذي نشرحه.

ومرة أخرى، نكرّر، عندما يُوْصَفُ الربُّ بأنّه «ابن الإنسان» فهو نفسه يستخدم هذا اللقب لتأكيد بشَرِيّته، ولكن عندما يتحدث عن الروح، أي الروح القدس الذي به يصنَعَ كلَّ هذه الأعمال، أي (الروح) الكائن فيه، يقول بعد إتمام أعماله الباهرة: «إذا كنتم لا تؤمنون بي، فعلى الأقل آمنوا بالأعمال التي أعملها لكي تعرفوا أنّني في الآب والآب فيَّ» (يو١٠:٣٨).

أما عن موضوع موته عنا بالجسد، عندما صعد إلى أورشليم (مت٢٠:١٨) لهذه الغاية، فقد قال لتلاميذه: «ناموا الآن واستريحوا، لأن الساعة قد أتت وأبن الإنسان سوف يُسلَّمُ لأيدي الخطأة» (مت٢٠:٤٥). وحقًا إنَّ أعماله تجعل أي إنسان يؤمن أنّه بالحقيقة الله، ولكن موته يؤكد أيضًا أنّه بالحقيقة تجسّد. ولهذا السبب قال إنَّ الذي سَيُسلَّمُ لأيدي الناس الخطأة هو أبن الإنسان، لأن الكلمة غير مائت ولا يمكن لمسه بل هو في جوهره الحياةُ نفسها. ولكن عندما لم يؤمن الفريسيون، بأعمال الرب ولا بالأعمال التي كان أبناؤهم يقومون بها، وبَّخَهُمْ الربُّ بهذه الكلمات (مت١٢:٢٧-٢٨). وإشارته هنا إلى «الروح» أو «روح الله» لا تعني أنه أقلُّ من الروح، أو أنَّ الروح هو الذي كان يعمل هذه الأعمال بواسطته، ولكن لكي يوضح أنه كلمة الله الذي يعمل كل هذه الأعمال بالروح، ولكي يعرف سامعوه أنهم عندما ينسبون هذه

الأعمال لبعلزبول، بينما هي أعمال الروح، فأنّهم يهينون الذي يُعطي الروح أي الأبن. وحقًا لقد أعلن في نَصِّ الإنجيل (مت٢ ٢٧:١) أنهم قد نزلوا إلى أسفل الدرجات، وأنهم بمعرفة يُجَدِّفُونَ، وليس بسبب الجهل، بل هم يجدفون رغم أنهم يعرفون أن الأعمال التي يعملها هي أعمال الله، ولكن هؤلاء المجانين نسبوا هذه لبعلزبول، أي كأنّهم يقولون أنها تمّت بواسطة روح نجس.

وكيف يستطيع أناس لهم مثل هذه الوقاحة، أن ينتقدوا الوثنيين الذين يصنعون الأصنام ويَدْعُونَها آلهة؟ حقًا إنَّ جنون الفريسيين مثل جنون الوثنيين. كلاهما يفعل ذات الشيء، وإن كان الذي فعله الفريسيون أكثر خطورةً، لأنهم بعد أن أخذوا الناموس الذي يُحَذِّرُهم من عبادة الآلهة الغريبة، يتجرأون ويحتقرون الله بمخالفتهم للناموس.

ولكن بعد هذا التجديف، ماذا سيفعلون عندما يسمعون إشعياء النبيّ وهو يخبر عن علامات مجيء المسيح،مثل رَدِّ البصر للعميان، ومشي العُرج، ونُطْق الخُرْس، وإقامة الموتى، وشفاء البُرص، وفتح آذان الصُّم ؟ من هو صانع كل هذه المعجزات؟ إذا قالوا الله الآب فأنهم يدينون أنفسهم بعدم قبول الرب، لأن ما رآه النبيّ وأخبر عنه هو ما فعله الرّبُّ يسوع عندما كان على الأرض في الجسد. ولكن إذا أصيبوا بالعمى وقالوا هذه الأعمال هي أعمال بعلزبول، فأنهم ينحدرون شيئًا فشيئًا إلى عدم التّقوى، خصوصًا عندما يقرأون «من الذي أعطى النُّطْقَ للإنسان، ومن الذي خلق الصُّمَ والخُرْسَ والذين لهم عيون والعميان» (خر٤ ١١:٤)، وأعمال أخرى مشابهة، وربما قادهم جنونهم إلى الإدعاء بأنه حتى هذه الأعمال نفسها هي أعمال بعلزبول، وهذا هو التطور الحتمي لفكرهم، لأنهم إذا نسبوا إليه نعمة البصر فإنهم ينسبون إليه أسباب العمى أيضًا، حيث إن كلمات الكتاب المقدس، تؤكد أنَّ الذي قام بالخلق هو الذي قام بالمعجزات، وأنه هو صاحب كل الأعمال. وبالتالي سيصلون إلى نتيجة رهيبة، وهي أنَّ خالق الطبيعة البشرية هو بعلزبول، لأنَّ من صفات الخالِق أن يكون له سلطانٌ على خليقته. وهذا يؤكده موسى: «في البدء خلق الله السموات والأرض... وخلق الإنسان على صورته» (تك١ ١:١ ؛ ٢٧)، ودانيال أعلن لداريوس: «أنا لا أعبُدُ أصنامًا مصنوعةً بيد الإنسان بل الله الحيّ الذي خلق السماء والأرض، والذي له سلطان على كل جسد» (تتمة سفر دانيال:٥). وإذا غيَّروا فكرهم وتصوّروا أن ضعفات الجسد، مثل العمى والعَرَج هي عقوبة من الخالق، بينما الشفاء وعمل الرّحمة هو من بعلزبول، فإن مجرد مناقشة هذا الرأي هو الجنون بعينه. وطريقة تفكير هؤلاء الناس هي طريقة المجانين والسكارى، وعديمي التّقوى لأنهم أصبحوا ينسبُون ما هو حسن أي معجزات الرحمة لبعلزبول وليس للّه. ومثل هؤلاء الناس لا توبخهم ضمائرهم عندما يغيرون تعاليم الكتب المقدسة، طالما أنهم يصلون إلى غايتهم وهي إنكار مجيء المسيح فى الجسد.

وكان من الأفضل لهؤلاء الناس الأشرار، الامتناع عن إهانة المسيح «كابن الإنسان» بسبب أنَّ له جسدًا بشريًا والاعتراف به كإله حقيقي بسبب معجزاته، ولكنهم فعلوا العكس تمامًا، لأنهم عندما أدركوا أنه إنسان احتقروه، وعندما عاينوا معجزاته الإلهية أنكروا لاهوته، ونسبُوا هذه المعجزات للشيطان. وظنّوا أنهم بمثل هذه الوقاحة وهذا التجديف، سيهربون منْ دينونة الكلمة الذي أهانوه. ولتتذكّروا أن العَرَّافين والمنجمين وَسَحَرَةَ فَرعونَ عندما حاولوا تقليد معجزات موسى، عجزوا وانسحبوا معلنين أن هذه هي إصبع الله (خر٨ ١٩:٨). وبينما أبصر الفريسيون والكتبة يد الله وهي تعمل بل عاينوا معجزات أكثر وأعظم قام بها المخلص، قالوا إنَّ الذي فعل كل هذه المعجزات هو بعلزبول، مع أن بعلزبول هو إله السَّحَرة الذين اعترفوا، بأنهم عاجزون عن القيام بأي عمل خارق وحتى أقَلَّ من أعمال موسى، فَمَنْ ذا الذي يمكنه أنْ يقبل إهانة الفريسيين أو فسادهم الذي سبق الأنبياء وأدانوه؟

وإذا قارنّا بين خطيئة الفريسيين وذنوب أهل سَدُوم يصبح أهل سدوم بالنسبة إلى الفريسيين أبرارًا. بل لقد زادوا في جهلهم أكثر من الوثنيين، وغباوة سحرة فرعون ، ولا مثيل لهم في جرمهم إلا الآريوسيين لأنهم معًا سقطوا في نفس الفساد. لأنَّ اليهود عندما رأوا أعمال الآب التي يقوم بها الابن نسبوها لبعلزبول، والآريوسيون عندما رأوا نفس الأعمال نسبوها لمخلوق، لأنهم قالوا إنَّ الأبن خُلِق من لا شيء ، وأنه مرَّ وقتٌ لم يكن فيه الأبن كائنًا، والفريسيون تذمروا عندما رأوا الرَّبَّ في الجسد وقالوا: « لماذا وأنت إنسان تجعل نفسك إلهًا» (يو١٠ ٣٣:١٠)، وهؤلاء الآريوسيون أعداء المسيح عندما رأوه ينام ثم يتألم، جَدَّفُوا عليه بهذه الكلمات «**الذي يعاني من كل هذه الآلام لا يمكن أن يكون الإله الحقيقي ولا من ذات جوهر الآب**».

وأخيرًا إنَّ كلَّ من يريد أن يفحص جنون الجماعة الأولى أو الثانية، سوف يرى أنهم في النهاية سوف يستقرّون في وادي الظلام (تكوين١٤ ٨:١٤).

ولهذا السبب، أعلن المخَلِّصُ أنَّه بالنسبة للجماعتين، توجد عقوبة واحدة لهذه الجريمة الواحدة وهي عدم المغفرة: « أما الذي يُجَدِّفُ على الروح القدس فلا مغفرة له لا في هذا الدهر ولا في الدهر الآتي» (مت١٢ ٣٢:١٢).

وهذا صوابٌ تمامًا لأنَّ الذي ينكر الأبن، لا يجد من يسرع لمصالحته مع الآب. وأيُّ حياة أو راحة ستبقى لمثل هذا الإنسان الذي يرفض ذاك الذي قال: «أنا هو الحياة» (يو١٤ ٦:١٤) و «تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين وثقيلي الأحمال وأنا أريحكم» (مت١١ ٢٨:١١). فإذا كانت هذه هي عقوبة المجدِّفين، وهي عقوبة كلِّ من يعتنق عقيدتهم في المسيح، فإنّه من المؤكد أن الذين يعبدون الرب في الجسد وفي الروح ولا ينكرون أنّه ابن الله وأنّه تجسد بل يؤمنون في وقت واحد أنه «في البدء كان الكلمة والكلمة صار جسدًا» (يو١ ١:١ ؛ ١٤) ، سوف يملكون مع المسيح إلى الأبد في السماء حسب مواعيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح الذي قال: «يذهب هؤلاء إلى عذاب أبدي، والأبرار إلى حياة أبدية» (مت ٢٥ :٦٤).

في الأهواء التمانية
لأبينا القديس كسيانوس الرومي
٤ ـ في الغضب

نقله الى العربية:
الأب منيف حمصي

أمّا جهادُنا الرابعُ فهو ضدُّ **شيطان الغضَب**، علينا، بمعونة اللّه، أنْ نستأصلَ هذا السُّمَّ القاتل من أعماق نفوسنا. وما دام رابضًا فينا، وفي أعماق قلوبنا، فهو يضرب عينَي النفس بالعمى، بفعل فوضاه القاتمة والحالكة السّواد، فلا نعود نقوى على تمييز الخير من الشرّ، ولا قادرين أنْ نقتني المعرفة الروحيّة، ولا أنْ نحيا النية الحسنة. ولا أن نشارك في حياة أصيلة، لا بلْ يظلّ ذهنُنا غيرَ متقبِّلٍ للتأمّل في النور الإلهيِّ الحقيقيِّ. لأنه مكتوب: «تَعَكَّرتْ من الغضب عيناي» (مزمور ٦:٧). كما ولا نعود مساهمين ومشاركين في الحكمة الالهية حتى ولو رأى فينا جميع الناس مثالَ الحكمة على الأرض. لأنه كُتِبَ: «لا تُسرع بروحك الى الغضب، لأنَّ الغضب يستقرّ في حضن الجهّال» (جا ٧:٩). كذلك لا نعود قادرين أن نميّز القرارات المؤثِّرةَ في خلاصنا، حتى ولو كان الناس يرون أننا صَفْوَةُ القَوْم، واننا ننعم بحسٍّ مُرْهَف. لأنه مكتوب: «الجواب اللين يصرف الغضب، والكلام الموجع يهيّج السّخط. لسان الحكماء يحسّن المعرفة، وفم الجهال يُنبع حماقة» (امثال ١٥:١). ولا نستطيع أنْ نصون سيرتنا وحياتنا في البرِّ ويقظة القلب. لأنه مكتوب: «... ليكن كلّ انسان مسرعًا في الاستماع مبطئًا في التكلّم والغضب» (يعقوب ١:٢٠). كذلك لا نعود نقوى على حيازَة اللياقة والكرامة التي يمتدحها الجميع. لأنه مكتوب: «المحتَقِرُ صاحِبَهُ ناقصُ الفَهْمِ أمَّا ذو الفَهْمِ فَيَسْكُتُ» (امثال ١١:١٢). فإذا كنتَ تودّ أن تبلغ الكمال، وتسير في الدرب الروحيّ، اجعل نفسك غريبًا عن الغضب والسخط. وأُقتَد بالالهيّ بولس القائل: « ليُرفع من بينكم كل مرارة وسخط وغضب وصياح وتجديف مع كل خُبث. كونوا لطفاء بعضكم نحو بعض، شفوقين، متسامحين كما سامحكم الله أيضًا في المسيح» (افسس ٤:٣١ـ٣٢). واذا رغبت ان تصلح اخاك عندما يخطىء، او رغبت أن تعاقبه، اجتهد أنْ تكون هادئًا وفي سلام، وإلاّ فإنَّك أنت ايضًا ستلتقط المرض الذي تتوق الى شفائه منه. وسوف تجد أنَّ كلمات الكتاب الالهي تنطبق عليك، وتصحّ فيك: «يا طبيب طَبِّب نفسك» (لو ٤:٢٣)، او «لماذا تنظُرُ القذى في عين أخيك ولا ترى الخشبة التي في عينك» (متى ٧:٣) ؟

ومهما كان الامر الذي يثير فيك الغضب، لا تنسَ أنَّ الغضب يضرب عينَي القلب والنفس بالعمى، فيحولُ دونَ رؤيتهما شمسَ البرِّ. الأوراق، سواء كانت من ذهب او رصاص، عندما تُوضع على العينين، من شأنها ان تَحُولَ دون الرؤية الصافية، وذلك لأنَّ قيمة الذهب ليست هي التي تسبّب العمى. وعلى نحو مماثل، فإنَّ الغضب سواء كان بحقّ ام بغير حقّ، من شأنه انْ يَحُولَ دون انقشاع الرؤية الروحية. والقوة الغضبيّة في النفس، يمكن استخدامها واعتمادها وفقًا للطبيعة، وذلك عندما نستخدمها ضدّ الأفكار الشهوانيّة والعُجب بالذّات الذي فينا. وهذا ما يعلمنا إيّاهُ النبيّ فيقول: «اغضبوا ولا تخطئوا والذي تقولونهُ في قلوبكم تندَّموا عليه في مضاجعكم» (مزمور ٤:٤). وهذا يعني حرفيًّا: «اغضبوا ضد أهوائكم، وضدّ أفكاركم الشرّيرة، ولا تخطئوا بانصياعكم لإيحاءات هذه الأهواء». وما سوف اوردُهُ يفسّر هذا ويؤكّدُهُ: عندما تَتَسَلّلُ الأفكار الشريرةُ الى نفسك. **أُطْرُدْهَا بحنق وغضب.** وبعد ذلك عُدْ الى انسحاق القلب والتوبة، كما لو أنَّ نفسكَ كانت ترتاح في سرير الهدوء والسكينة. وأرى أنَّ الرسول الالهيّ بولس يوافقني على هذا الكلام عندما يقول: «لا تغرب الشمس على غضبكم»، و «لا تجعلوا فيكم مكانًا للغضب» (افسس ٤:٢٦–٢٧).

تُرى ما معنى هذه الكلمات؟

هذه الكلمات تعني التالي:

لا تجعلوا المسيح الذي في قلوبكم ـ شمس البرِّ ـ مُعَرَّضًا لغضبكم، بسبب محبّتكم للأفكار الشرّيرة، لئلا تطردوه من داخلكم، وتجعلوا ابليس مكانه. وقد قال اللّه عن شمس البرّ هذا، كلمات النبيّ التالية: « ولكم أيّها المتَّقُونَ اسمي تُشْرِقُ شَمْسُ البرِّ والشِّفَاءُ في أجْنحتها، فَتخرُجونَ وَتَنْشَأُونَ ... وَتَدُوسُونَ الأشرَارَ لأنَّهُمْ يَكُونونَ رَمَادًا تحتَ بُطُونِ أقدَامِكُمْ» (ملاخي ٤:٢–٣).

اذا اخذنا كلمات الرسول بولس بحرفيّتها، نجد انها لا تسمح لنا ان نحتفظ بالغضب الى ما بعد غروب الشمس. **تُرى ماذا نقول في الذين يحتفظون بغضبهم حتى طلوع الشمس، بل يطيلون غضبهم على كلّ الايام؟ ماذا نقول عن الذين يكتمون غضبهم ويصمتون فينتشر السَّمُّ فيهم ويؤدي بهم الى الهلاك؟** هؤلاء لا يُدركون انه لابدّ ان ننأى بأنفسنا عن الغضب ، ليس فقط في أعمالنا وأفعالنا، فحسب، بل في افكارنا ايضًا، وإلا فإنّ ذهننا يُظْلَمُ

بفعل السَّخَط والغضب، وينعزل عن نور المعرفة الروحية، والتمييز، فَيُحْرَم من سُكنَى الروح القدس فينا. لهذا السبب يوصينا الربّ أن نترك قربانَنا أمامَ المذبح، ونذهب ونصالح أخانا (متى ٥:٢٣-٢٤)، وذلك لأنّ قربانَنا لن يكون مقبولاً ما دام الغضب والسَخَطُ فينا. ويعلّمنا الرسول الإلهيّ الشيء نفسه، عندما يوصينا ان «نصلّيَ بلا أنقطاع» (١ تس ٥:١٧)، «وان نصلّي في كلّ مكان، رافعين لله أيادي طاهرة بدون غضب وبدون خصام» (١تي٢:٨). وهكذا فإنّه يترك لنا الخيار ألاّ نصلّي ابداً، وبهذا لا نطيع كلمات الرسول بولس، أو أن نصلّي ولكن بغضب، فنكسر وصيّة السيّد. وكثيراً ما نكون غير مبالين حيال أخوتنا الحزانى والمكتئبين، ظانّين أنّهم قائمون في حالتهم هذه، ليس لسبب نابعٍ منْ مواقفنا.

لكنَّ طبيب الأرواح والأجساد الذي يشاء أنْ يستأصل الأعذار الواهية من نفوسنا وقلوبنا، يوصينا أن نترك قربانَنا أمام المذبح، ونذهب اولاً لنصطلح مع اخوتنا، ليس فقط عندما نحزنهم، بل ايضاً عندما يحزنوننا، عن حقّ أو عن ظلم. وعندما نشفَى من حالتنا، نعودُ منْ جديد ونَقَدِّمُ قربانَنا.

وقد نجد التعليم نفسه قائماً في العهد القديم ايضاً، ويكون هذا التعليم على اتّفاق تامٍّ مع الانجيل: «لا تُبغض اخاكَ في قَلبِكَ» (لا ١٩:١٧). وأيضاً: «الصديق يهدي صاحبه، اما طريق الاشرار فَتُضِلُّهُمْ» (ام١٢:٢٦). وهذان المقطعان، لا يحولان دون غضبنا، بل يعلّمان كلّ واحد منّا ان يرفض أفكار الغضب ايضاً.

وإذ كنّا نشاء أن نَتَّبِعَ الوصايا الالهيّة، علينا أنْ نجاهد بكل قوانا ضدّ شيطان الغضب، وضدّ هذا الهوى الرابض في أعماقنا. عندما نغضب ضدّ احد، علينا الاّ نَلُوذَ بعُزلَتنا بحجّة أن ليس فيها ما يُحَرِّضُنَا على الغضب، وبحجة أنّنا في العُزْلَة او الوحدة يمكننا ان نقتني فضيلة الاحتمال بسهولة. في مثل هذا الحال لا تكونُ مغادرتنا لأخوتنا إلاّ بسبب كبريائنا، ولأنّنا في العمق لا نريد ان نُلقيَ اللومَ على ذواتنا فنعزوَ السبب لأنفسنا دون سوانا. وما دمنا نعزو اسباب ضَعْفَنا تجاه الآخرين، للآخرين، لا يمكننا ان نبلغ الكمال في الصَّبرَ والاحتمال. إنّ اصلاح الذّات والسلام، لا يتحقّقان من خلال الصبر الذي نظهره نحن للآخرين. وعندما نهرب من الجهاد من أجل الاحتمال، وذلك بالإنكفاء داخل عُزلتنا، فإنّ الأهواء المريضة التي في داخلنا تبقَى رابضة فينا، ولا تزول.

في البداية لا بدّ لنا ان نجاهد، لأنّ التوحدّ أو الانقطاع عن العالم من شأنهما أنْ يَحْجُبا اهواءنا في داخلنا ويُخفياها، وبهذا يَحُولان دون تقصّيها وادراكها والاحساس باستعبادها لنا. وبالعكس، فإنَّ من شأن هذه الأهواء أنْ تَفْرضَ علينا وَهم الفضيلة، وأنْ تقنعنا أنْ نصدِّق أنّنا بلغنا ذروة الصَبر والتواضع. وذلك لأنّنا في التوحّد لا نكون امام مُحَرِّض يمتحننا. ولكن ما إنْ يَلْتَمِعُ شيء ما متحدّيًا إيّانا، حتّى تنتفضَ الأهواء الدفينة غير الملحوظة في داخلنا، كأحصنة جامحة أُطلقَت من عقالها بعد حبس طويل. للحال تجرّ راكبَها بعنف وضرواة، وتقوده الى الهلاك. اهواؤنا تنمو وتصبح اكثر عنفاً وشَراسة عندما ننقطع عن الآخرين. لا بَل إنَّ ظلَّ الصبر والاحتمال اللذَيْن كنّا نظنُّ أنّهما فينا عندما كُنّا نخالطُ الناس، يُهدَران ويتبَدّدان في قلب التوحّد. والسببُ نتيجة عَدَم تفعيلها. الحيوانات السّامّة التي تعيش في جُحورها في قلب الصحراء، لا تُبدي غضبها إلاّ إذا شَعرَت بأحد يدنو منها. هكذا الحال ايضاً مع الأهواء، عند الإنسان الذي يَعيش في التوحّد، ليس بفعل استعدادات حسنة، فإنه سرعان ما ينفثُ سمومه عندما يدنو اليه انسان او يستفزّهُ.

وهكذا، فالذين يتوقون الى اللّطف الكامل، عليهم أنْ يجاهدوا كي يتجنّبُوا الغضبَ، لا ضدّ اخوتهم البَشر فحسب، بل ضدّ الحيوانات، وضدّ الأشياء أيضاً. وما أزال أذكر أنّني، عندما كنتُ في البريّة، كنتُ أغضبُ لدى مرأى الغابات الكثيفة وغير الكثيفة. فكنت اشتهي أن أقطعها بقطعة خشب او بحجر الصوّان. وعندما كنتُ أريد إشعال النّار ولم تكن الشرارة تنقدح في اللحظة المطلوبة، كنت أيضاً أغضب. وهكذا كان غضبي يثور في وجه الجماد على أنواعه.

أمّا إذا كنّا نتطلّع إلى اقتناء بَرَكات الربّ، فعلينا أن نمتنع لا عن الغضب الظاهريّ فحسب، بل عن غضَب الأفكار أيضاً. أمّا الأكثر نَفعاً وبركة من ضبط اللسان عند الغضب، والامتناع عن كلمات الغضب، فهو تنقية القلب من الغضب، والإحجامُ بعمق عن كلمات المَكر والشرّ ضدّ إخوتنا. والإنجيلُ يعلّمنا ان نستأصل جذور الخطايا، لا ثمارها فقط. وعندما نجتَثُّ جذور الغضب من قلوبنا، لا نعود نسلك بالحسد والضغينة «لأنّ مَن يمقت أخاه قاتلٌ هو» (١يو٣:١٥)، وذلك لأنه يقتله بالحقد الذي في قلبه. ودم الانسان الذي قُتل بحدّ السيف يراه الناس، إلاّ أنّ الدم الذي يُسفَك بالحقد والغضب في أعماق القلب، لا يراه إلاّ الله فقط، والله وحده يجازي الانسان أو يكلِّلُهُ، لا عن أعماله فقط، بل عن أفكاره ونواياه أيضاً.

كذلك يقول الرسول: «الذين يُظهرون عمل الناموس مكتوبًا في قلوبهم، شاهدًا ايضًا ضميرهم وأفكارهم فيما بينها مشتكية او محتجّة» (رومية ٢:١٥-١٦). وربّنا نفسه يعلّمنا ان نُبعد الغضب من وسطنا فيقول: «ومَن يغضب على أخيه باطلاً، يكون مستوجبًا الدينونة» (متى٥:٢٢). وقصدَ الربّ من هذا أنّه يتوجّب علينا أن نُزيل الغضب من جذوره، وأن نُخمد شرارته، قدر المستطاع، فلا نَدَع أيّ أثر له في قلوبنا. وإلاّ فإنّنا نَحتَدِمُ أمام كلّ ما يبدو حسنًا او صالحًا في الظاهر، وبعد ذلك نفاجأ أنَّ غَضَبِيَّتنا لا يمكن كَبْحُها والسيّطرةُ عليها.

والشفاء الأخير من هذا الدّاء هو أنّه يتوجّب علينا ان نُدرك انه يجب ألاَّ نغضب مهما كان السَّبب، لا بعَدل ولا بظلم. عندما اظلمت اذهاننا بفعل الشيطان، فقَدْنَا نورَ التَّمييز، والحُكمَ السديد، والاسترشادَ بالبرِّ، ولم تَعُدْ قلوبُنا هياكل الرّوح القدس.

علينا في النهاية ان نتذكّر جهلَنا ساعة موتنا، فنصون أنفسَنا من الغضب، معترفين أنَّ :لا ضبطَ النفس ، ولا تركَ الأمور الماديّة، ولا الصّوم، ولا الأسهارَ تجدي نفعًا، إذا كُنّا مذنبين، في الدينونة الأخيرة، وبخاصّة إذا كُنّا عبيدًا رازحين تحت الغضب والضغينة.

مَن يَدَّعي الحِلْمَ أَغْضِبْهُ لِتَعْرِفَهُ
لا يُعرَفُ الحِلْمَ إلاّ ساعةَ الغضَبِ

القديسان إسحق السرياني وباييسيوس الأثوسي

القديس اسحق السرياني القديس باييسيوس الآثوسي

والتفكير الإيجابي

ما منْ أحد كرّس نفسه لاتّباع **القديس اسحق السريانيّ** كما فعل **القدّيس الشيخ باييسيوس**، الذي ضُمّ مؤخّراً إلى سنكسار الكنيسة (في ١٣كانون الثاني٢٠١٥). فهو لم يحبَّ تعاليمَه بعمق وحسب، بل ما هو أكثر أهمية هو أنّه عاش وجسّد كلّ ما علّم به القديس إسحق.

كتب القديس باييسيوس: «سوف يساعدُكَ القديس إسحق السريانيّ بشكل عظيم، لأنّه يعينُنَا على أن نفهم معاني الحياة الأكثر عمقاً. إلى هذا، إنّه يساعد الرجل المؤمن بالله على إبعاد كل تعقيد، كبيرًا كان أم صغيرًا. إن بعض الدراسة للقديس إسحق تحوّلُ النفس بكل الفيتامينات الروحية التي فيها».

لدى **القديس اسحق** فيتامين محدّد يتحدّث عنه غالبًا الشيخ باييسيوس واصفًا إياه بأنه الفيتامين القادر على حفظنا من كافة الأمراض الروحية، وتحريرنا من كل العُقَد. هذا الفيتامين الذي يمنحنا إياه القديس إسحق ويكرّر ذكره القَديس باييسيوس هو التفكير الإيجابيّ.

التفكير الإيجابيّ ذو وجهين تمامًا ، كما الوصية العظمى ذات وجهين «أحبب الربّ إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك، ومن كل قوتك» والوجه الثاني هو «أحبب قريبَكَ كنفْسكَ». ولأن للمحبة، كما للصليب الكريم، عارضة عامودية (محبة اَللّه) وعارضة أفقية (محبة القريب)، التفكير الإيجابي ينطبق على أفكارنا عن اللّه وأفكارنا عن قريبنا.

كتبَ **القديس إسحق**: «جدد حياتي بتحوّل الذهن وبالأفكار الإيجابية التي تحركها فيّ أنت بنعمتك». هذه الصلاة استجيبَت في حياة القديس باييسيوس، عندما كان طفلاً وتغيّر فكره بفكرة إيجابية، حرّكها اللّه فيه. لقد وجد ذاته في حزن عميق وراح يشكّكُ بإيمانه، لأنَّ أحد الرجال الذين لم يكن في رأسه أيُّ فكرة إيجابية، سَخرَ من القديس لأنه يؤمنُ باللّه، وأخبره بأنَّ المسيح كَان مجردَ إنسان. يخبرنا القديس باييسيوس: «كنت منهكًا فاستلقيت على الأرض لأستريحَ. فجأة، إذ بفكر إيجابيّ مفعَم بالامتنان المتجاوب دخل في نفسي البريئة: انتظرْ لحظة! ألمَ يكن المسيح ألطف الناس على وجه الأرض؟ لم يجد أحد فيه أي فكر شرير. إذًا، سواءً كان هو اللّه ام لا، لستُ أهتمّ. فعلى أساس أنه أكثرُ البشر لُطفًا وأنا لم أعرف أفضل منه فسوف أحاولُ أنْ أكونَ مثلَه وأطيعَ بشكل مطلَق كلَّ ما يطلبه الكتاب المقدس. سوف أقدّم له حتّى حياتي إذا اقتضت الحاجة لأنه كريم جدًا.

كل أفكار الجُحُود تبخّرت وامتلأت نفسي بفرح عظيم. قوة أفكاري المفعمة بالامتنان، أذابت كل الأفكار الملتبسة. عندما بدأت أؤمن بالمسيح وقررت أن أحبه قدر استطاعتي، وبسبب الامتنان المتجاوب اختبرتُ معجزةً ختَمَتْ فكري الإيجابي بقوة. من ثمّ افتكرتُ: أنا لا أهتمّ من بعد إذا قال لي أحدهم إنَّ اللّه غير موجود».

هذه الفكرة كانت عطيةً منَ الله ثبَّتَها القديس اسحق الذي يقول لنا: «تقع الفكرة الجيدة في القلب بعطية إلهية فقط». اللّه أعطى هذه المنحة للشاب باييسيوس، الذي كان قلبه ممتلئًا بالامتنان والكرامة* إذ بحسب القديس «مَن يحمل عطايا اللّه إلى إنسان هو قلب متحرك دائمًا نحو الشكر».

يذكّرنا القديس باييسيوس بالطبيعة الأفقية للتفكير الإيجابيّ إذ يكتب: «عليك أن تكون أفكارك من ناحية الجميع حسنة»، وأنّ «أساس الحياة الروحية بأكمله، هو التفكير بالآخرين ووضع الذات أخيرًا، وعدم التفكير بالذات». على المنوال عينه، القديس إسحق يخبرنا بأن الإنسان يبلغ الطهارة «عندما يعتبر كل البشر أخيارًا، وما من رجل يبدو له غير طاهر أو دَنَس، يكون بالحقيقة طاهر القلب».

فَلْنُصَلِّ، مُتَّبعينَ تعاليمَ القديسين إسحق وباييسيوس، إلى الربّ بكلمات **القَديس نيقولاوس كاباسيلاس** «حوّل عين النفس من الأمور الباطلة بحفظك القلب مملوءاً بالأفكار الحسنة، حتى لا يترك فيَّ أيّ وقت مكانًا للأفكار الشريرة».

---

* الكرامة هي ترجمة لكلمة Philotimo اليونانية لكنها لا تعنيها حرفيًا. الترجمة الحرفية للكلمة تعني صديق المجد. الكلمة بحسب العديد من المصادر هي أكثر الكلمات اليونانية صعوبة في الترجمة.

على المسيحيّ أن يهتمّ بالتوبة لا بالندم

مع الراهب الأعمى إيسيذوروس من دير فيلوثيو في جبل آثوس

كنّا نعمل جنبًا إلى جنب مع الراهب الأعمى إيسيذوروس من دير فيلوثيو، في جبل آثوس، عندما بدأت محادثة بينه وبين بعض الحاضرين، فسأله أحدهم:

– أبت، ما هو الفرق بين **التَّوبَة والنَّدَم** ؟

– **الندم**؟!! نحن لا نهتمّ بالندم البتّة. المسيحيّ الحقيقيّ يهتمّ **بالتوبة** فقط. انسوا الندم. نعم، المسيحيّ يهتمّ بالتوبة لا بالندم.

– ولكن، كيف يمكننا أن نميّز بين الأثنين؟!

– الندم هو، تقريبًا، شعور بالقنوط، يشعر به المرء عندما يفكّر بأمر أو عمل سيّء قام به، أو لم يقم به. أقول «تقريبًا»، لأنّ الندم، في بداية الأمر، قد لا يملأ العقل بالقنوط، لا بل يشبه كثيرًا التوبة ومراجعة الذات ومحاسبتها، وهنا أرجو أن تنتبهوا إلى كلمة: «في بداية الأمر». ولكنْ، يمكن للمرء معرفة الفرق بين التوبة والندم، من خلال الثمار الناتجة عن كلّ منهما.

الندم هو رجلٌ عمره ستّون عامًا ينظر إلى حياته السابقة، ويرى كلّ الأخطاء التي اقترفها، وجميع الحوادث المزعجة التي صادفته، والأشياء التي يودّ تغييرها، والتي يقول إنّه سيحاول التعويض عنها في الوقت الحاضر، ولكنّ هذا التفكير يكون مليئًا بالحزن واليأس.

أمّا التوبة، فهي رجل عمره ستّون عامًا أيضًا، وينظر إلى حياته السابقة، ويرى كلّ الأخطاء، وجميع الحوادث المزعجة التي يودّ تغييرها، كسابقه تمامًا، ولكنَّه يختلف عنه كونه لديه القبول والقدرة على تغيير المستقبل، ولذلك لا يطرق بابه اليأسُ البتّة.

التَّوْبَةُ هي الدموع المنسكبة، والتنهّدات المصعَّدَةُ، والنوح على أخطائنا، على الأمور التي لم يكنْ منَ اللاّئق فعلها، وعلى الأمور التي كان يجب فعلها ولم نحقّقها، ويرافق ذلك قبول رصين وجادّ بأنّنا قد أخطأنا فعلاً،وأنّنا نحن المسؤولون عن أخطائنا هذه، وأنّنا، لو لم يَتَدَارَكَنا اللهُ في غزير رحمته، لكنّا استمرَرْنا في ارتكابها نظرًا لضعفنا وهشاشتنا.

دير فيلوثيو في جبل آثوس

النَّدم هو فكر يقول لك: «أنا أفضل من ذلك، ولكنّي في جهل منّي ارتكبت الحماقات». فيما تقول لك التوبة: «أنا ضعيف، لكنّ الله قويّ». النَّدمُ يختلط بالكبرياء، بينما تنتج التوبة من التواضع. الندم مغلَّف بالغرور، ولكنّ التوبة انسحاق دائم أمام الله. الندم يخلو من الأمل، ولا ينتج منه أيّ تغيير إيجابيّ مستمرّ. أما التوبة، فمملوءة من الرجاء، لأنّها على يقين أنّه مع الله كلّ شيء ممكن. الندم من الأرض، والتوبةُ من السماء.

الندم ينظر إلى الوراء، يتوق بحنين «مريض» لتصحيح الماضي، أمّا التوبة، فهي تطلّع دائم إلى الأمام، تنظر نظرة عابرة إلى الوراء لتذكّر النفس فقط، أنَّ الطريق مقطوعة بينها وبين الماضي، كونه لا يصل بها إلى الوُجهة المطلوبة. **الندم يَشُلُّ، والتوبة تحرّر.**

ما هي ثمار الندم؟ **الندم**. وما هي ثمار التوبة؟ **التغيير**. الندم يملأ المسيحيّ بالحزن، والتوبة تملأ المسيحيّ بالتواضع والثقة، بأنّ رحمة المسيح تشفي جراح الماضي، تملأ المسيحيّ بالرجاء من أنّ نعمة المسيح، سوف تُخرج الخيرَ من الشرّ.

ويخبرنا **القدّيس بطرس الدمشقيّ** قائلاً: «من الممكن، دائمًا، البدء منْ جديد بواسطة التوبة». تسقط، يقول لك الكتاب «قم» (أم ١٦:٢٤). وإذا وقعت مرّة أخرى، قم مرّة أخرى من دون أن تيأس أبدًا من خلاصك، بغضّ النظر عمّا يحدث لك. على العكس من ذلك، ضع رجاءك كلّه على الذي قادر أن يخلّصك، وسوف يفعل معك أحد الأمرين: إمّا ينقذك من خلال التجارب، والتي وحده يعرف مدّتها وثقلها، وعندئذ يجدّدُكَ وَيُنْهِضُكَ. أو أنّه يقبل تحمّلك وصبرك وتواضعك ورجاءك، وسوفَ يتصرّف بمحبّة نحوك بطريقة لا تستطيع إدراكها، وهكذا يُخَلِّصُ نفسك المكبَّلة. المطلوب منك، إذًا، ألاّ تتخلّى البتّة عن طبيبك، وإلاّ ستعاني، من دون وعي الموت المضاعف سواءً كان في هذه الحياة أو في الآتية. **(الفائدة الكبيرة من التوبة الحقيقيّة: الفيلوكاليا، المجلّد الثالث. الصفحة ١٧٠)**.

لذلك، دعونا نهتمّ لكلمات الراهب إيسذوروس، ولننسَ الندم ونتشبّث بالتوبة، رجاء المسيحيّين.

البار سيرافيم وخادمته «ميشا»

في أحد الأيام، أعطى البارُّ سيرافيم ساروف بركته لإحدى أخوات دير ديفييفو، لكي تأتي وتراه في مَنْسَكه في الغابة، لأنها كانت تمرّ بفترة عصيبة، دفعتها إلى التفكير بتَرْكِ الديرِ الذي كانت تقوم فيه بمهمة الطبخ التي عافَتْها نفسُها.

فيما هي تقتربُ من المَنْسَك. ماذا رأت؟ الناسك جالس أمام قلايته وأمامه دُبّةٌ كبيرة جدًا جالسة عند قدميه.

صرخت الراهبة المسكينةُ: «أغثني يا أبتي. لقد قَرُبَتْ نهايتي» .

أبعد الأب الدُّبَّةَ وقال لها ضاحكاً: «كَلاَّ أيتها الأخت، لم تأت نهايتك بعد. إنها بعيدة جدًا. الدبّة لن تقتلك بل على العكس سوف تُسليك».

بعد أن طمأنها دعاها لكي تجلس إلى جانبه، على أحد جذوع الشجر. أما الدبّة فأتت ثانية ورقدت عند قدميه.

رَوَت الأخت الراهبة:

كان جسدي كلُّه يرتجف. بينما انشغَلَ الشيخ بإطعامها فتاتًا من الخبز يخرجُهُ من كيسه بهدوء بالغ، كما لو أنه لا يتعامل مع دبّة بل مع خروف. استَمَدَّيت الشجاعة من المشهد. لكنَّ الأمر الذي ولّدَ لديّ إنطباعًا أعمق هو وجه الشيخ. كان نقيًا شفافًا فرحًا كوجه ملاك. وأخيرًا عندما شعرتُ بالأمان تمامًا أعطاني ما تبقّى من الخبز وقال لي أن أطعم الدبّةَ بنفسي. ولكنّني رفضتُ: «لا يا أبتي ستأكُلُ يديّ أيضًا».

ابتسم الستارتس سيرافيم. وقال: «صدقيني أيتها الأخت. لن تأكل يدك».

عندئذ أخذتُ الخبز وأعطيته للحيوان. وشعرت بفرحٍ كبير جعلني أنزعج كثيرًا عندما نفد الخبز.

قال لي الشيخُ:

«تذكرين أيتها الأخت كيف أنَّ أسدًا كان يخدم القديس جراسيموس في البرّية؟ هكذا أيضًا دبّة تخدم الفقير سيرافيم. أترين كيف تطيعُنا الحيوانات؟ بينما أنت تفتقدين شجاعتك بسهولة. لماذا؟ اصبري! سيكون لديكم أفراح في الدير، سيأتيكم زوار مهمون يسألونكم عن أخبار الفقير سيرافيم. وأنت لن تتردّدي في إخبارهم كيف أطعمنا الدبّة معًا. لو كان معي مقص لقصصت جزءًا من فَرْوَتها برهانًا على ذلك. أتوسّلُ إليك أيتها الأخت، لا تفقدي عزيمتك أبدًا مهما حصل».

عندئذ قلت ببساطة شديدة: «لو رأت الأخوات الدبّة لَمُتنَ خوفًا».

فقال: «لن يَرَيْنَها ».

هنا فكرتُ، كيف ستصدقني الأخوات عندما سأروي لهن هذه الأعجوبة؟

قال لي الشيخ وقد قرأ أفكاري: «لا تقولي لأحد شيئًا أيتها الأخت قبل مرور أحد عشر عامًا على وفاتي. وبعد أحد عشر عامًا ستعرفين لمن تقولين».

عادت الأخت إلى ديفييفو بغيرة متجدّدة لخدمتها.

لكنْ هل تحققت نبوءة الستارتس (الشيخ)؟

بعد مرور أحد عشر عامًا على رقاده المغْبُوط. كانت الأخت تراقب أحد الرسامين وهو يرسم أيقونة للبارِّ سيرافيم. فتذكرت حادثة الدُّبّة وكانت المرة الأولى التي ترويها فيها.

* * * * * * *

مرةً أخرى بينما كان عند البارّ سيرافيم بعضُ الزوار، أقبلت الدبّة فجأة بشكل غير مُتَوَقَّعٍ من الغابة فأخافت الزوار بمظهرها المخيف.قال لها البار سيرافيم: «اسمعي يا ميشا (إسم الدبّة). لماذا لا تحضرين لي شيئًا لأقدّمه لزواري، بدلاً من أنْ تخيفي الناس؟»

أطاعت الدبّة ميشا، وتوارت في الغابة، وعادت بعد قليل، وهي تمشي منتصبة على قائمتيها الخلفيتين وفي الأماميتين تحمل قالبًا من شَمْعِ العَسَل مملوءًا عسلاً .

المرجع: مواهب وموهوبون ـ دير پاراكليتيو

الأرثوذكسيّة
قانون إيمان لكل العصور
(٣٥)

الرسل الأطهار

قاعدة الأيمان

من أجل خَلاصنا

عندما يَصف اللّه لنا، العهد القديم، فإنَّه لا يستخدم كلمات مُحدَّدةً نظريّة، بَل يُعلن في عبارات عمليّة جدًّا أنّ اللّه: «الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبوديّة» (خر٢٠:٢). وبكلمات أُخرى إنَّه الذي عمل التاريخ لينقذَ ويخلِّصَ شعبه، أخرجه منَ العبوديّة في مصر إلى أرض الموْعد. إنَّه اللّه المُنقذُ. «فقال الربُّ إنِّي قد رأيتُ مذلّة شعبي الذي في مصرَ ، وسمعتُ صراخهم من أجل مُسَخِّريهم. إنِّي عَلِمْتُ أوجاعهم فنزلتُ لأُنقذَهُم من أيدي المصريين، وأُصعدَهُم من تلك الأرض إلى أرض جيّدة وواسعة،إلى أرض تفيضُ لبنًا وعسلاً» (خر٣:٧-٨).

ومعروفٌ أنه قبل أنْ يولَد يسوعُ، ظَهَرَ ملاك الربّ ليوسفَ في حُلُم وقال: «فستلد ابنًا وتدعو اسمه يسوع لأنّه يُخَلِّصَ شعبه من خطاياهم» (مت١:٢٠-٢١).

إنَّ طبيعة رسالة المسيح أُعلنَ عنها من السماء من قَبْل ميلاده بالجسد. إنَّه جاء ليُخَلِّص شعبه من خطاياهم، لا ذكرَ إطلاقًا لتعاليمه، إنَّ تعاليمَهُ لن تكون أبدًا فعّالةً إن لم يوجَد خلاصٌ أولاً.

إنَّ الاسم: «**يسوع**» الذي أُعطيَ ليوسفَ من الملاك في ا حُلْم، إنَّما أُعطيَ أيضًا لمريم عندما بَشَّرَها الملاك: «ستحبلين في حشاكِ وتلدين ابنًا وتدعين اسمه يسوع» (لو١:٣١).

أمَّا مريم ويوسف فقد حفظا هذه الكلمات في قلبيهما، وعندما جاء الوقت لتَسْمِيَة الطفل، فإنّنا نقرأ في إنجيل لوقا البشير: «ولمَّا تمَّت ثمانيةَ أيّامَ ليختنوا الصبيّ، سُمّي يسوع كما تَسَمَّى من الملاك قبل أن حُبِلَ به في البطن» (لو٢:٢١).

إنَّ اسم: «**يسوع**» هو نفسه: «يشوع» الذي استُخدمَ في العهد القديم. لعلّنا نذكُر أن يشوعَ كان القائد العظيم الذي تَألّقَ بقيادة شعب اللّه.

بعد موت موسى وإتمام المهمَّة لإدخالهم إلى أرض الموْعد. لذلك فإنَّ اسم «يسوع» كان معروفًا لدى اليهود. إنَّه يُعيدَ لذاكرتهم مَن أخرجهم من بيت العُبوديّة، مَن صارَ لهم مُخَلِّصًا.

إنَّ المعنى العبريّ الفعليّ لكلمة: «يسوع» هو «الربُّ مخلِّصي». إذن حتى الاسم الذي اختاره الآبُ له، يتكلَّم عن أساس رسالته، أنْ يخلِّص شعبه من خطاياهم.

عندما أعلَنَت الملائكةُ للرعاة في البادية ميلاد يسوع، فإنَّهم لم يتكلَّموا عن معلِّم عظيم، ولكن عن مخلِّص عظيم: «وكان في تلك الكورة رعاة مُتَبدِّين يحرسون حراسات الليل على رعيّتهم، وإذا ملاك الربّ وقف بهم، ومجد الربّ أضاء حولهم فخافوا خوفًا عظيمًا.فقال لهم الملاك لا تخافوا، فها أنا أُبَشِّركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب، أنَّه وُلدَ لكم اليوم في مدينة داود مُخَلِّص هو المسيح الربّ» (لو٢:٨-١١).

إنَّ الخلاص الموعود به في اسم «يسوع» ليس خلاصًا اجتماعيًّا، بقدر ما هو خلاصٌ روحيٌّ. لم يأت يسوع أولاً لينقذ الناس من فَقْرهم، ولكنْ منْ خطاياهم. هذا لا يَعني أنَّه لا يكترث بالفقر، على العكس، ولكنه يُعالجُ المرضَ وليسَ العَرَض. أنْ تُدَمَّر الخطيئة ومحبَّةُ الذّات وا جَشَعُ، فهذا يعني هدم سبب الفقر الأول وقلعه من جذوره.

كان الناس أيام يسوع يبحثون عن خلاص ليس من النوع الذي قدَّمه يسوع. كانوا يبحثون عن شخص يُنقذهم من قوّة قيصر الذي كانوا مُستَعْبَدينَ له. أمَّا رسالة يسوع فكانت أنْ يُخَلِّصهم من عبوديّة أعظم جدًّا وهي بالتحديد: **الخطيئة**. لذلك فقد رفضَ كثيرون منهم أن يقبلوا يسوع على أنه المُخَلِّص الذي وعد به اللّه، كانوا يبحثون عن نوعٍ خاص يريدونه من الخلاص ومن المُخَلِّص.

إن قانون الإيمان يتكلَّم عن الخلاص شخصيًّا جدًّا. يقول القانون إنَّ يسوع جاء من السماء من أجل خلاصنا. عندما نرى بيتًا يحترق على شاشة التلفاز، فإنّنا لا نُستثار كثيرًا، ولكن إن كنا نرى أنَّ هذا المنزل الذي يحترق هو منزلنا الشَّخصيّ، فهذه قصَّة مختلفة تمامًا، ونحن نهتاجُ جدًّا آنئذ ونحاول أن نتصَرَّف بطريقة سليمة سريعة، فالورطة تخصّنا نحَن.

إنّ الخلاص الذي يمنحه إيَّانا يسوع يعني شيئًا، وإنْ كان حقيقيًّا فعلاً، فإنّه يجب أن ندرك أنَّ الذي يحترق هو بيتنا وليس بيتًا آخَرَ، يلزم أنْ نُحسَ أنّنا المعنيُّون بهذا المأزق الذي يلزم أن نُنقَذَ منه، ينبغي أن نشعر مثل السكّيرين والمدْمنينَ عندما يُدركون أنَّهم أصبحوا سجناء، وأنّهم في احتياج شديد جدًّا لمن يُنقذُهُم. إن لم نختَبر شخصيًّا احتياجنا الشخصي للخلاص، فإنَّ كل هذا الكلام عن يسوعَ كَمُخَلِّص يظلّ لَغْواً بلا قيمة وبلا معنى.

لكي نختَبر الاحتياجَ الشخصي إلى الخلاص، يجب أن نعرف من أي شيء نحتاج أن نَخْلُصَ.

١٥ ـ مسحة المسيح المتجسّد

هل تريد أن تعرف أنه إله، ذاك الذي وُلدَ من الآب وصارَ إنسانًا ؟ إسمع ما يقولُهُ النبيّ: «هذا هو إلهنا، ولا يُعتبر مثله آخر. هو وجد طريق التأدّب بكماله، وجعله ليعقوب عبده وإسرائيل حبيبه. وبعد ذلك تراءى على الأرض وتردّد بين البَشر» (باروك ٣:٣٦-٣٨). أما ترى أن الله تجسّد بعدما سلّم الشريعة على يد موسى ؟ إليك الشهادة الثانية عن ألوهَة المسيح، من القراءة التي تُليَت في البداية: « إنّ عرشك يا اللّه ثابتٌ أبَد الدهور» (عبر ١:٨). ولكي لا تظنّ أنه بسبب ظهوره في الجسد، إرتقَى بعد ذلك الى كرامة الألوهيّة، يضيف الكتاب بحكمة: «لذلك يا اللّه مسحك إلهك بزيت الإبتهاج دون أصحابك» (عبر ١:٩). تُرَى كيف أنَّ المسيحَ مُسِحَ من اللّه الآب !

١٦ ـ كيف أن الآب والابن واحد

أتريد شهادة ثالثة عن ألوهيّة المسيح، إسمع ما يقول أشعيا: «سَعْيُ مصر وتجارة كوش تعبر إليك» (أش ٤٥:١٤) ؛ وبعد ذلك بقليل: «يتضرّعون إليكَ قائلين: إنما اللّه فيك وليسَ آخرُ غيره. إنّك لإلهٌ محتجبٌ ، يا إله إسرائيل، أيّها المخلّص» (أش٤٥ : ١٤ – ١٥). هل تَرَى أن اللّه الابن يحوي في ذاته اللّه الآب ؟ وهذا هو تقريبًا ما ورد في الأناجيل: «إنّي في الآب وإنّ الآب فيَّ» (يو١٤:١١). كذلك لم يقل: «أنا والآب أنا واحد» بل «أنا والآبَ نحنُ واحد» (يو١٠ : ٣٠)، حتى لا نفصل بينهما ولا نَخْلُطُهما بـ «بُنُوّةٌ أَبَويّة» ؛ هما واحد من حيث الكرامة الإلهيّة ، بما أنَّ اللّه يلد اللّه. هما واحد من حيث المُلكيّة ، لأنَّ الآب لا يملك على البعض، والأبن على البعض الآخر ، كما أراد أن يفعل ابشالوم عندما ثار على أبيه. ولكن الذين يملك عليهم الآب، هم أنفسهم الذين يملك عليهم الابن. هما واحد لأنه ليست هناك أعمال للآب وأخرى للمسيح، بل صُنع جميع الأشياء قد حقّقها الآب في الابن ؛ كما يُنْشدُ صاحب المزامير: «إنه قال فكان كل شيء، وأمرَ فَخُلِقَ كل شيء» (مز ١٤٨:٥). والحال مَن «يقول» يكلّم آخر ليسمع، ومَن «يأمر» يأمر آخر ليُنَفِّذَ.

١٧ ـ التمييز بين الآب والابن

فالابن هو إذن إله حقّ، فيه الآب، دون أن يتحوّل هو الى الآب، لأنه ليس الآب هو الذي تجسّد بل الابن ؛ لنَقُل الحقيقة بصراحة: الآب لم يتألم من أجلنا، بل أرسَل الآبُ مَنْ تألّم لأجلنا. ولا نَقُل أبدًا إنّ الآب كان عندما لم يكن الأبن ولا نقبل كذلك «البنوّة الأبويّة». علينا أن نسلك في الطريق الملكيّ ، دون أن نميل لا الى اليمين ولا إلى اليسار (عدد ٢٠:١٧). ولا نظنَّ بأننا نكرّم الأبْنَ باعلانه أبًا، أو أننا نكرّم الآب باعتبار الأبن أحد خلائقه. بل لنعبُد الآبَ الوحيد بالأبْنِ الوحيد دون أن نجزىء العبادة. إننا نُبَشّرُ بالأبْنِ الوحيد الجالس قبل كل الدهور عن يمين الآب ؛ وهذا الجلوس عن اليمين لم يكتسبْهُ في الزمن بعد آلامه ، بل هو حقٌ له منذ الأزل.

١٨ ـ كما الوالد والمولود

«من رأى الأبن فقد رأى الآب» (يو١٤:٩)، لأنَّ الابن مساو في كل شيء للذي وَلَدَهُ. وُلد حياةً منْ حياة ، نورًا من نور، ، قدرةً من قدرة ، إلهًا من إله. وميزات الألوهيّة في الآب متساوية تمامًا في الأبنِ. ومَن نَعمَ برؤية ألوهيّة الابْن، وصل الى التنعّم بذاك الذي وَلَدَهُ. وهذا الكَلام ليس من عندي ، بل هو كلام الابن الوحيد: «أنا معكم منذ وقت طويل، ألا تعرفني يا فيلبُّس ؟ مَن رآني رأى الآب» (يو١٤:٩). وخلاصة القول: لا نُقَسِّم، لا نَخلط بينهما، لا نقل أبدًا إنَّ الآب غريب عن الأبن. لا نقبل بضلال القائلين: إنَّ الآب هو أحيانًا آب وأحيانًا أبن. هذه التعاليم هي غريبة وجاحدة، وليست من تعاليم الكنيسة. نحن نعلّم أن الآب، بولادته ابنَهُ، ظَلَّ الآب بدون تغيير. وَلد الحكمة (١كور ١:٢٤)، ولكنه لم يفقد لذلك الحكمة. وبولادته القدرة لم يصبح لذلك عاجزًا. وبولادته اللّه لم يتخَلَّ عن الألوهيّة. أنه لم يفقد شيئًا ولم ينقص ولم يتغيّر، ولم يتَلَقَّ المولود أي عيب. كامل هو الوالد وكامل المولود ؛ الوالد هو إله والمولود إله كذلك. إلهُ كل شيء، الآب هو إله ذاته ؛ وقد سجّله (يوحنا) فلا خجل إذن في إعلانه: «إنّي صاعدٌ الى أبي وأبيكم ، وإلهي وإلهكم» (يو ٢٠:١٧).

١٩ ـ المسيح يعلن سموّ نسبه

ولكي لا تظنَّ أن الآب هو أب الأبن، وأب الخلائق على حَدٍّ سواء ميّز المسيح فيما بعد، لأنه لم يقل: «إني صاعد الى أبينا» ـ لكي لا نُدخلُ مشاركة بين الخلائق والابن الوحيد ـ ولكنه قال: «أبي وأبيكم»، ليظهرَ الخلافَ: انه أبي بحسب الطبيعة ، وأبوكم بحسب التَّبَنِّي. كذلك قال: «إلهي وإلهكم» للتمييز: إلهي، لأني ابنه المولود منه ووحيده ؛ إلهكم ، لأنكم خلائقه. ابن اللّه هو إذن إله حقّ ، مولود بكيفية لا تُوصَفُ قبل كل الدهور. إني أكرّر ذلك مرارًا ليرسخ في أذهانكم. آمن إيمانًا ثابتًا بأن اللّه ابنًا، ولكن لا تحاول فضوليًا البحث عن الكيفية. لأنك بالبحث عنها لن تصل الى شيء. لا ترتفع لئلا تسقط. «ما أمرَكَ اللّه به، فيه تأمّل دائمًا» (سيراخ ٣:٢٢). قل لي أولاً مَن هو الوالد، ثم انظر في أمر المولود. أنتَ لا تستطيع معرفة طبيعة الوالد. فلا تبحث في معرفة كيفية المولود.

مَـوْتُ التَّقـيِّ حيـاةٌ لا نفادَ لَها
قَدْ ماتَ قَوْمٌ وَهُمْ في النّاسِ أحياءُ

العهد القديم في الكتاب المقدّس (٧٧)

ثانيّاً : مملكة يهوذا (المملكة الجنوبيّة)

مِنْ تولّي رحبعام إلى خراب أورشليم ٩٣١-٥٨٧ ق.م. :(١مل ١٢-٢٢ ، ٢مل ١-٢٥) ، (٢أخ ١٠-٣٦)

نلاحظُ كتابات الأنبياء في هذه الفترة، سواء الأنبياءُ الكبار من إشعياء إلى دانيال، أو الأنبياء الصغار من هوشع إلى ملاخي، جميعُها وإن كُتبَت كنبوّات تحذيرًا للشعب المنغمس في الوثنيّة والرذيلة إلاّ أنّها تُلقي كثيرًا من الضوء على حالةَ الأمّة الروحيّة والسياسيّة والإجتماعيّة ، والتي أخذت تطفو على سطح الأحداث بمجرّد إعتلاء **رحبعام** للعرش خلفًا لأبيه سليمان، وقد ترك مشورة الشيوخ منْ مستشاريه واتّبعَ آراء الشّبان الخاطئة في أتخاذ سياسته القمعيّة، وهذا يكشف أنه لم يكن مُدركًا لخطورة الموقف في تلك الآونة، ومدى عنف الثورة وروح التذمُّر وسط الشعب؛ ففي شكيم (٢أخ١٠) حينما تقدّم إليه الأفراميّون قبل تتويجه ومعهم مقترحاتهم ، رَفَضَهم بغاية الغطرسة والتحدّي ، مما أسرع بتَمزُّق المملكة وحدوث الأنقسام.

وبعد الأنقسام حكم يربعام الأسباط العشرة (وهو ما يُسَمّى بأفرايم) وهي الأسباط الثائرة في الشمال، وحكم رحبعام مملكة يهوذا في الجنوب، ولم يَتَبَقَّ معه سوى سبط يهوذا القوي والبعض من بنيامين وشمعون ولاوي، ولم تكن لرحبعام النِّيّةُ في إعادة توحيد المملكة بالقوّة، إزاءَ معارضة المحافظين بسبب عدّة عوامل في مقدمتها، أن أسباط الشمال كانت أكثر عدداً وأعظم قوّة وتتفوّق عسكريًا على يهوذا، فضلاً عن أنَّ الشعب فيها كان متحمّسًا للحرب ، بينما لم يكن الشعبُ في الجنوب مُهَيّأً لذلك، وإنْ كانوا مُضْطَرين أنْ يناضلوا للحصول على حدود آمنة بينهم، وبين مملكة إسرائيل.

وبعد سقوط السامرة سنة ٧٢١ ق.م. وزوال المملكة الشمالية، إنتهت فكرة المملكة المزدَوجَة، ولم يبقَ سوى مملكة يهوذا، واستمرّت وحدها بعد ذلكَ ما يَقْرُب من قَرنٍ ونصف.

وكما سبَقَ ودرسنا مملكة إسرائيل كوحدة واحدة، سوف ندرس تاريخ مملكة يهوذا أيضًا كوحدة واحدة هي فترة تمتدُّ إلى ٤٠٠ سنة ، تبدأ منذ أعتلاء رحبعام العَرشَ بعد موت سليمان سنة ٩٣١ ق.م. حتى سقوط أورشليم وتخريبها سنة ٥٨٧ ق.م. وقد حَكَمَ فيها عشرون مَلِكًا، واختلفت عن مملكة إسرائيل في أنّ جميع ملوكها كانوا جميعًا منْ أُسْرَة واحدة، هي بيتُ داودَ، فيما عدا مغتصبة العرش **عثليا**، كما أن المملكة كانت لها عاصمة واحدة وهي أورشليم، مما جعل المملكة تجمع حولها الروح القوميّة بأَجَلِّ معانيها، والتمرّكز حول مدينة الملك العظيم، وهيكل اللّه فيها. وإنْ تباينت المملكة في مراحل تاريخها الذي ارتبط بطريقةٍ مباشرة مع أخلاقيات وسلوكيات هؤلاء الملوك.

الأخلاق الحسنة المعدودة فضائل - لزكريا يحيى بن عدي

الحِلْم: وهو ترك الانتقام عند شدّة الغضَب، مع القدرة على ذلك، وهذا الحال مَحمودٌ ما لم يُؤَدِّ الى ثَلم جاه أو فساد سياسة، وهو بالملوك والرؤساء احسَنُ، لانّهم اقدَر على الانتقام من مبغضيهم. ولا تُعَدُّ فضيلة حلم الصغير على الكبير، وان كان قادرًا على مقابلته في الحال، فانه وانْ مسكَ عنه، فانّما ذلك خوفًا لا حُلْمًا.

الوَقار: وهو الامساك عن فضول الكلام والعتَب وكثرة الاشارة والحركة، فيما يُستغنَى عن التحرّك فيه، وقلّة الغضب والاصغاء عند الاستفهام، والتوقف عند الجواب، والتحفّظ عند السرعة ، والمبادرة في جميع الامور. ومن قَبيل الوقار أيضًا: الحياء وهو غَضّ الطَّرف، والانقباض من الكلام حشمة للمستحين منه وهذه العادة محمودة ما لَم تكن صادرة عن عَيٍّ او عجز.

الوُدُّ: وهو المحبّة المعتدلة من غير اتّباع الشهوة، والودّ مستحسنٌ من الانسان، اذا كان لاهل الفضل والنُبل ، وذوي الوقار والابّهة، والمتميّزين من الناس، فأمّا التودّد الى اراذل النّاس واصاغرهم والاحداث والنساء واهل الخلاعة وما شابههم، فمكروهٌ جداً ، وحُسن الودّ ما نَسَجتْهُ على منوال مناسب للفضائل، وهو اوثق الودّ واثبته، فأمّا ما كان ابتدأوه اجتماعًا على هزل أو طلب لذّة أو ما شابه ذلك فليسَ بمحمودٍ ولا باقٍ ولا ثابت.

وداعًا يا أنستاسيّا
للقديس غريغوريوس النزينزي

مِنْ كَلِمَةِ إستعفاءِ القديسِ غريغوريوسَ اللاهوتي
من كرسي القسطنطينية

وأخيراً أيها الرعاةُ الأخوةُ الأحباءُ،

إن كان لي حق في المكافأة على أتعابي، فكافئوني مشكورين جدّاً بإعفائي، وإراحتي من تعبي الطويل. أَجِلّوا هذه الشَّيْبَةَ. اكْرِمُوا غُربتي ورحيلي.

نَصِّبوا غَيري في مكاني.

نَصِّبوا مَنْ عندَهُ الاستعدادُ للأضطهادِ من أجلكم، ويداهُ طاهرتان وكلامه متّزنٌ ...

رجوتكم أَسْدُوا إليَّ رحمةً،

إكراماً للثالوث الأقدس ذاته الذي أُكَرِّمُهُ أنا، وتكرّمونَهُ أنتم،

لأجل رجائنا العام، ولأجل اتحاد هذا الشعب.

أطلقوني بالصلوات ...

وإذا قلتم : فمن تختار مكانك؟

أقول : إن اللّه يرى كَبْشاً للمحرقة (تك ٢٢).

إن اللّه يرى راعيًا للرعاية كما رأى كبشًا للمحرقة عند ابراهيم.

على أني أرجو رجاءً واحدًا ، وهو أن يكون المختارُ الجديدُ من أصحاب روح الرسالة والغيرة،

لا منَ المذْعنين لكل واحد في كل شيء، بل من العارفين في كل الأحوال لماذا أقيم لأجل الخير الأعظم.

فالوداعَ الوداعَ يا أنستاسيا* يا من استمدَّت اسمها من الأرثوذكسية، لأنكِ صرت مركزًا للتعليم الذي كان مُزدَرى ..

الوداع أيها العرشُ والسُّدّةُ الأسقفيةُ العاليةُ!

يا علوًا محسودًا، ولا يَخْلُو من الخطر ...

لأن المبتعدين عن الكراسي لهم اللّه وما يَعِدُ به من عروشٍ عاليةٍ،

وأعلى بكثير من عروش العالم، وأسلمُ من الخطر.

الوداع أيتها الملائكة، يا حافظي هذه الكنيسة ...

أيها الثالوث يا غايةَ قصدي ونيّتي وَزِيْنَتي!

فليحفَظَكَ شعبي هذا في قلبه ايمانًا وعقيدةً ومودَّة،

ولتحفظه أنت أيها الثالوث القدوس لأنه خاصَّتي

* أنستاسيا (القيامة) هي الكنيسة الصغيرة التي بدأ فيها القديس غريغوريوس خدمتَه وتعليمَه في القسطنطينية، إذ كانت أغلب الكنائس تحتَ سيطرة الأريوسيين، ولكن بعد خدمةٍ استمرت نحو عامين تحولت الكنائسُ إلى الإيمان الأرثوذكسي.

المرجع: مختارات من القديس غريغوريوس اللاهوتي النزينزي، تعريب إستفانوس حداد، منشورات النور